مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الانسانية م٩ ، ص ص ١٩٥ - ٢٤٦ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)

المستشرق ترمنجهام ومنهجه في دراسة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وموقفه من الإسلام والمسلمين

سعود بن حمد الخثلان

أستاذ مساعد-قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص : تناقش هذه الدراسة رأي المستشرق ترمنجهام حول المدى الذي كان عليه انتشار الإسلام في منطقة غرب إفريقيا في السابق ، وكذلك تفسيره لأسباب هذا الانتشار الذي امتد عبر القرون . وذلك ليتسنى الكشف عن مواطن الخلل في منهجه ، ثم معرفة موقفه من الإسلام والمسلمين . وهذه المناقشة لم تكن لتكتمل بدون التعرض لمسألة التنصير ، فلقد كان ترمنجهام من رجالات التنصير الذين عملوا من أجله ، وفي قارة إفريقيا نفسها . فكان لابد من معرفة أثر ذلك على توجهات وآراء هذا المستشرق وهو يكتب عن تاريخ الإسلام والمسلمين في غرب إفريقيا .

تمهيد

إن هدف هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جانب من كتابات المستشرق جون ترمنجهام عن الإسلام في إفريقيا . وترمنجهام هو واحد من الكُتاب الذين جمعوا بين الاستشراق والتنصير والعمل في مجال التعليم الجامعي . ولا شك في أن مؤلفات هذا النوع من الكُتاب تحوي أكثر الكتابات الاستشراقية خطورة على الدراسات الإسلامية ، كما سيشار إليه في صفحات تالية من هذا البحث .

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الكتابة في هذا الموضوع . وكما قال أحد الكتاب ، فإن من حق كل أمة أن يعرف أبناؤها مايقوله الآخرون عنها في عقيدتها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها . كما أن من حق أبنائها المثقفين أن يتناولوا هذه الأقوال بالتحليل

والنقد [١] . وهذا ما حدث بالفعل فقد اتجه كتاب مسلمون للتصدي لكتابات المستشرقين فيما يخص مجالات عديدة كالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والتاريخ الإسلامي ، إلى غير ذلك . وما البحث الذي بين أيدينا إلا مجرد محاولة للإسهام في هذا الشأن . خاصة وأن المستشرق الذي تم اختياره لم يسبق - حسب علم الباحث - أن أُفردت كتاباته عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا بالدراسة رغم شهرته وأهمية المنطقة التي يكتب عنها [٢] .

كتب ترمنجهام عدداً من المؤلفات عن الإسلام والمسلمين في قارة إفريقيا . وقد أفرد اثنين من هذه المؤلفات لدراسة الإسلام وتاريخه في منطقة غرب إفريقيا [٣] . كما كتب مقالين عن انتشار الإسلام في إفريقيا بشكل عام [٤] .

وتطرق ترمنجهام في الكتابين والمقالين إلى انتشار الإسلام في غرب إفريقيا منذ بدء الاتصالات الأولى بين المسلمين وبلاد السودان [٥] . في القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) إلى زمن الاستعمار ودخول المنطقة تحت نفوذ الدول الغربية .

---

(١) **التهامي نقرة** ، *«القرآن والمستشرقون» في : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية* ، الرياض ، المطمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٢) تعرض الدكتور عز الدين موسى بالنقد لنظرة بعض المستشرقين إلى ظاهرة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، ومن ضمن هؤلاء ترمنجهام ، وذلك في مقالين قيمّين له . راجع : **عز الدين عمر موسى** ، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي ، *ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية (الخرطوم ٢٨ / ٣٠ يوليو ١٩٨٣ م)* ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، "On the Nature of Islamization and Islamic Reform Movements in Bilad as - Sudan Up to Sokoto Jihad" ***Dirasat*** , *Vol.6* , 1, 97 .

(٣) *Islam In West Africa* , 1 st ed., Oxford , Oxford University Press , 1959 .
A History of Islam in West Africa ,1st ed.,London,Oxford University Press,1962 .
يلاحظ أن هذه هي الطبعة الأولى بالنسبة للكتاب الأول . إلا أن الرجوع إليه في هذا البحث سيكون لطبعة ١٩٧٢ م . أما الكتاب الثاني فسيكون الرجوع إلى نفس هذه الطبعة .

(٤) "The Phases of Islamic Expansion and Islamic Cultrue Zones in Africa" , **In** : **I . M.Lewis (ed.)** , *Islam in Tropical Africa*, Oxford, Oxford University Press , 1966,pp. 127 - 139 . The Expansion of Islam , **In** : ***J. Kritzeck*** **and** ***W. H. Lewis*** (eds.), *Islam in Africa*,New York and London,Van Nostrand - Reinhold Company , 1969 , pp . 13 - 34 .

(٥) ظهر مسمى بلاد السودان في بعض المصادر الإسلامية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : عبدالله بن أبي عبدالله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان ، ج ١ ، تحقيق حسين=

وقد قسم ترمنجهام هذه الفترة إلى أربع مراحل . الأولى وتبدأ من الاتصالات الأولى للمسلمين ببلاد السودان إلى ماقبل ظهور المرابطين . والثانية وحددها من منتصف القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلاديين ، أي من ظهور المرابطين إلى ماقبل قيام حركات الجهاد الإسلامية في غرب إفريقيا . والثالثة وتشمل مرحلة الجهاد . أما الرابعة فهي مرحلة الاستعمار الأوروبي للمنطقة [٦] . إلا أن الملاحظ أن ترمنجهام في التفصيل تحدث عن خمس مراحل وليس أربع . فما ذكره عن مرحلة مابعد سقوط دولة سنغي جعلها تبرز كمرحلة تختلف عن المراحل الأخرى ، كما سيُشار إليه فيما بعد . ويبدو أن ترمنجهام ، نظراً لسعة المنطقة وطول الفترة ، اتجه للتركيز ، من ناحية المكان ، على السودان الغربي ، ومن ناحية الزمان على المرحلة الثانية . فالسودان الغربي كان موطن أهم الممالك السودانية ، غانة ومالي وسنغي . أما المرحلة الثانية ، فقد كان لها أهميتها حيث تبلور خلالها الوجود الإسلامي في بلاد السودان ، وقامت أعظم الممالك الإسلامية فيها ، مالي وسنغي .

وسيقتصر البحث الذي بين أيدينا على دراسة ما كتبه ترمنجهام عن المرحلتين الأولى والثانية . ولن يشمل المرحلتين الأخيرتين ، حسب تقسيم ترمنجهام ، لأن ذلك ، في الواقع ، يحتاج إلى حيز كاف في دراسة مستقلة تغطي كل الجوانب المتعلقة بها ، والتي تطرق إليها في كتبه ومقالاته : أما من ناحية المنطقة فسيركز البحث على السودان الغربي .

وفي دراسة ماكتبه ترمنجهام عن هاتين المرحلتين ستتركز المناقشة على نقاط ثلاث :

= مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ م ، ص ١١٧ ؛ **عبدالله بن عبدالعزيز البكري** ، *المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، باريس ، ١٩٦٥ م ، ص ١٦٤ ؛ **محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي** ، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* (مأخوذة من كتاب : *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*) ليدن ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٠ . ويقصد بالمسمى المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . واتجه الكتاب حديثاً إلى حصره على المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلسي غرباً والحبشة شرقًا ، والصحراء الكبرى شمالاً والغابات الاستوائية جنوباً . كما اتجهوا إلى تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أقسام : السودان الغربي ثم السودان الأوسط ثم السودان الشرقي . انظر :
The Ency . of Islam , Leyden , 1934 , Vol iv. p . 495 ; **J . S Trimingham** , *Islam in West Africa* , p.1, *A History of Islam in West Africa*, pp.34,104;**H.J Fisher**, *The Cambridge History of Islam* , 1970 , Vol . 2 , p . 345 .

(٦) "*The Phases of Islamic Expansion* ..," op . cit . pp . 127 - 129 .

١ - المدى الذي كان عليه انتشار الإسلام .

هل يرى ترمنجهام أن الإسلام كان بالاتساع الذي أظهرته المصادر وكثير من الدراسات الحديثة أم أنه اختلف معها في ذلك ؟

٢ - تفسيره لأسباب هذا الانتشار وموقفه من الإسلام والمسلمين من خلال هذا التفسير .

٣ - مدى تأثر ترمنجهام بالتنصير وهو يكتب في هذه الجوانب .

وفي بحث هذه النقاط لابد من الأخذ في الاعتبار ما ذكره ترمنجهام في أكثر من دراسة وأكثر من موضع ، من أنه معني بالحديث عن الإسلام الذي يمارسه الإفريقيون ، وليس الإسلام الذي ينبغي أن يكون ، أو " الإسلام النظري " (٧) . على حد تعبيره . وذلك لأن مناقشة مدى التزام ترمنجهام بهذا المنهج ضرورية في استجلاء موقفه من الإسلام والمسلمين . إذ لابد من التساؤل هل اقتصر هذا المستشرق ، وهو يكتب عن الإسلام والمسلمين في بلاد السودان الغربي ، على واقع المسلمين بظروفه وملابساته ، وبما فيه من إيجابيات وسلبيات ؟ أم أنه انبرى يقيس الواقع وأخطاء البشر على الدين الإسلامي ثم يبني على ذلك آراءه واستنتاجاته ؟

وستكون الدراسة ، بطبيعة الحال ، في ضوء المصادر الإسلامية والمراجع الحديثة ذات العلاقة . كما أن الدراسة لن تكون في غنى عن الرجوع إلى دراسات ترمنجهام عن المناطق الأخرى من القارة ، وذلك للاستدلال والتوضيح . فإنه من أجل تكوين رأي أكثر دقة حول موقف ترمنجهام من الإسلام والمسلمين يجب أن نأخذ في الاعتبار أي قول له في حق الإسلام بما يرمي إليه من هدف قريب أو بعيد ، مباشر وغير مباشر ، بصرف النظر عن المكان الذي يعنيه أو الفترة الزمنية التي يتحدث عنها . فما يقال عن الإسلام سلبيًا أو ايجابيًا فإنه يعني الإسلام في أي زمان أو مكان ، ويمس المسلمين كذلك .

وتجنباً للتكرار والإطالة ، فإن الباحث سيتجنب الدخول في تفاصيل تاريخ انتشار الإسلام في المنطقة والفترة المحددتين إلا بالقدر الذي يكون ضرورياً في

---

(٧) *Islam in West Africa* , Oxford , Clarendon Prress , 1972 , Preface , p . v , *Islam in The Sudan* , London , Frank Cass and Co . ltd ., 1965 , Preface , p . v , *The Influence of Islam upon Africa* , London , Longman , 1980 , preface , p . x ..

توضيح الخلل في منهج هذا المستشرق .

جون سبنسر ترمنجهام J.S.Trimingham

وهو أحد المستشرقين البريطانيين المتخصصين في الدراسات الإفريقية . ارتبط بالتنصير بعد أن أكمل دراساته العليا . وذلك عندما انضم إلى جمعية الإرسالية الكنسية Church Missionary Society (٨) ، ومن خلال هذه الجمعية التنصيرية تيسر له الذهاب إلى إفريقيا ، والمكوث فيها حوالي خمسة عشر سنة حيث انتدبته للعمل في شمال السودان ثم مصر من سنة ١٩٣٧ إلى ١٩٥١ م (٩) .

بعد انتهاء عمله في إفريقيا ورجوعه إلى بريطانيا تهيأت الفرصة لترمنجهام للعودة مرة أخرى إلى إفريقيا على فترات متقطعة ، حيث حصل على منح دراسية للسفر إلى مناطق من القارة لجمع معلومات لأبحاثه . فقد حصل على منحة من الجمعيةالتنصرية التي كان يعمل فيها وجمعية الإرسالية الميثودية Methodist Missionary Society (١٠) . سنة ١٩٥٢ هـ للقيام برحلة إلى غرب إفريقيا ، كان الهدف منها إجراء مسح للإسلام في المنطقة (١١) . وقد استفاد ترمنجهام من ذلك في تأليف كتابه "الإسلام في غرب إفريقيا "(١٢) .

وفي سنة ١٩٦٠ م حصل هذا المستشرق على منحة من أمانة كارنجي لدعم جامعات

---

(٨) عن هذه الإرسالية التنصرية ونشاطها في غرب إفريقيا انظر :
African Encyclopaedia, Oxford, Oxford University Press, 1974, p. 57; **J.D.Fage,** *A History of West Africa*, Cambridge, Cambridge University Press, 1969, pp. 128 - 131 .

(٩) ولد ترمنجهام سنة ١٩٠٤ م ، وانظر ترجمته في :
A.Evory (ed),*Contemporary Authors*,New Revision Series,Michigan, Gale Research Company, 1981, Vol. 3, pp. 538 - 539; *Who'sWho In Europe*, 4th ed., Bruxelles ,1980-1981, p. 2273 ; *The Writers Directory,* Chicago - London , St . James Press ,1986, 76, 80 .

(١٠) هذه الإرسالية تتبع الكنيسة الميثودية Methodist Church . ولا يبدو أن هناك ترجمة محدد لكلمة Methodist في هذا السياق، لذا آثر الباحث كتابتها كما تلفظ بالإنجليزية . عن هذه الكنيسة انظر :
The New International Dictionary of The Christian Church , General ed . , **J.D. Douglas,** Exeter, The Paternoster Press, 1974, p. 633; *The New Ency. Britanica*, 15th., 1986, Vol.8, p.07 .

(١١) **J.S. Trimingham,** The Christin Church And Islam In West Africa, *I.M.C. Research Pamphlets No.3*, Edinburgh, SCM Press Ltd., 1955, p.5.

(١٢) *Islam in West Africa,* op. cit. Preface,p.v.

سكتلندا Carnegie Trust for The Univerities of Scotland (١٣) للقيام برحلة إلى شمال إفريقيا ، تمكن خلالها من جمع معلومات لكتابه " الطرق الصوفية في الإسلام" (١٤) .

كما حصل سنة ١٩٦١ م على دعم من جوائز ليفر هولم للبحث Leverhulme Research Awards (١٥) . وآخر من جمعية الإرسالية الكنسية ، مكناه من القيام بجولة في شرق إفريقيا ، كان من نتاجها كتابه " الإسلام في شرق إفريقيا " (١٦) .

دراسات ترمنجهام وأهميتها (*)

كتب ترمنجهام عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا ، وهو من القلائل الذين غطت دراساتهم في هذا المجال مناطق ونواحي مختلفة . كما هو واضح من عناوين كتبه المشار إليها في ثنايا هذا البحث .

وبالرغم من أن اهتمامات ترمنجهام تركزت على الإسلام والمسلمين إلا أنه اتجه للكتابة أيضاً عن المسيحية خاصة في إفريقيا ، واهتم في ذلك بالمناطق التي كتب عن الإسلام فيها (١٧) .

---

(١٣) عن مؤسسات أندرو كارنجي الخيرية من أجل التعليم والبحث أنظر :

The New Ency. Britanica, Vol.2, p.880.

(١٤) *The Sufi Orders in Islam,* Oxford, Clarendon Press ,1971,Preface, pp.v-vi

(١٥) عن وليم ليفر هولم مؤسس هذه الجوائز انظر :

The New Ency. Britanica, Vol. 7, p. 306 .

(١٦) *Islam In East Africa,* Oxford, Clarendon Press, 1964, Preface, p.v.

(*) يقصد بذلك أهميتها لدى الباحثين والمؤسسات العلمية والدينية في الغرب ، خاصة في بريطانيا .

(١٧) أشار ترمنجهام ، في مقدمة أحد كتبه عن المسيحية إلى أن اتجاهه للكتابة عن المسيحية بالرغم من أن دراساته تركزت على الإسلام يحتاج إلى تبرير . وضمن التبريرات التي استعرضها في هذا الشأن برزت له أراء جريئة بينت موقفه السلبي من اليهودية ، وكذلك موقفه المعادي للصهيونية ، والمؤيد للفلسطينيين . فقد قال بصريح العبارة : " إن إنشاء دولة إسرائيل كان ومازال جريمة دولية " ، (*Two Worlds Are Ours,* Beirut, 1971, pp..ix-x) . ويلاحظ أنه ورد في ترجمة ترمنجهام (Con . Authors, p. 538) أنه أقام في لبنان ، وتزوج من سيدة فلسطينية ، فلربما كان لذلك أثر في موقفه المتعاطف مع الفلسطينيين .

ويبدو أن اتجاه ترمنجهام للكتابة عن الإسلام وكذلك المسيحية كان نتيجة اهتمامات ظهرت لديه في مقتبل شبابه . فقد أشار في مقدمة أحد كتبه أنه في الفترة التي ترك فيها المسيحية وتحول إلى أحد المذاهب الإلحادية Agnosticism [١٨] ، وهو في سن السادسة عشرة ، ظهرت لديه رغبة في التعرف على الأديان الأخرى [١٩] .

ولما عاد ترمنجهام إلى المسيحية بعد تركه لها ، لم تقلل عودته هذه من رغبته في معرفة المزيد عن الأديان الأخرى . وأنصب اهتمامه على الإسلام . فهو يقول عن نفسه : إن دراسة الإسلام وأثره في المجتمعات أصبحت غايته المنشودة [٢٠] . ويذكر . أيضا أن فضل القرآن والصوفية عليه فيما وصل إليه من معارف ومفاهيم دينية لايقارن أبدا بالعهد القديم (التوراة) الذي يقول عنه إنه لم يجد فيه أي جدوى بالرغم من أنه قرأه بكامله أثناء دراسته في كلية ولز اللاهوتية Wells Theological College [٢١] .

ولاشك في أن انضمام ترمنجهام إلى جمعية تنصيرية ، وعمله في إفريقيا في خدمة هذه الجمعية لمدة طويلة جاء ليدعم ميوله إلى هذا النوع من الدراسة ، ويجعل إفريقا ميدانا لها .

ولا يستغرب أن يظهر هذا الحرص من ترمنجهام على الجمع بين دراسة الإسلام والمسيحية في إفريقيا ، ثم التركيز على الإسلام ، وهو الذي انظم إلى جمعية تنصيرية لها دورها في العمل التنصيري في إفريقيا ، فصار عضوا فعالا فيها ، حيث عمل لصالحها مدة طويلة في القارة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ومعلوم أن مثل هذه الدراسات الأكاديمية لابد وأن تستغل من قبل الجمعيات التنصيرية في دعم أساليبها ، وإنجاح أعمالها للوصول إلى أهدافها [٢٢] .

---

(١٨) Agnosticism : من المذاهب الإلحادية ، ظهر وتبلور في أوروبا في القرن التاسع عشر ميلادي . لمزيد من المعلومات عنه ، راجع :

The New Ency. Britanica, Vol. 1 p. 151 .

(١٩) *Two Worlds Are Ours,* op. cit.,

(٢٠) انظر Ibid., p. xi.

(٢١) انظر Ibid., pp. x, xi.

(٢٢) عن نشاطات الإرساليات التنصيرية في بلاد المسلمين وكثرتها وعمق أهدافها المشبوهة انظر التفصيل القيم الذي أورده ساسي سالم الحاج عن هذا الموضوع في كتابه : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، مالطة ، مركز دراسات العالم الرسلامي ، ١٩٩١ م ، ص ص ٨٣ - ٩٣ ؛ وانظر أيضا : رابطة العالم الإسلامي ، العدد الثالث - ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ، وهو عدد خاص عن إفريقيا ، ص ص ٨٦ - ٩٤ ؛ محمد جلال عباس ، المد الإسلامي في إفريقيا ، القاهرة ، المختار الإسلامي ، ١٩٨٧ م ، ص ١٠١ ومابعدها .

والحديث عن دراسة ترمنجهام للمسيحية في إفريقيا يخرج بطبيعة الحال ، عن مجال هذا البحث ، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن ترمنجهام أورد مقارنات بين الإسلام والمسيحية في مواضع من بعض كتبه عن الإسلام في إفريقيا ، وسيتعرض البحث لهذه النقطة فيما بعد ضمن الحديث عن أثر عمل ترمنجهام في مجال التنصير على موقفه من الإسلام والمسلمين .

ويلاحظ أن ترمنجهام في عمله الاكاديمي في مجال الدراسات الاسلامية لم يتجه إلى تحقيق شيء من الكتب الإسلامية المخطوطة كما فعل البعض من المستشرقين هذا مع إدراكه لاهمية هذا العمل بالنسبة لدراسة تاريخ الاسلام والمسلمين في إفريقيا (٢٣) ، وتمكنه من اللغة العربية (٢٤) . ولا ننس أيضا توفر الفرصة لديه ، وهو يعمل في إفريقيا ، للبحث وتتبع المخطوطات ذات العلاقة بمجال دراسته . ولكن يبدو أن عمله في الإرسالية التنصيرية كان مستحوذا على جل نشاطة . وقد أشار إلى ذلك في مقدمة أحد كتبه (٢٥) .

كما أن تركيزه على جمع المعلومات والتأليف كان له دور في انشغاله وقد أشار ترمنجهام إلى ذلك بطريقة غير مباشرة عندما ذكر أنه عند إعداد أحد كتبه عن الإسلام في إفريقيا وجد نفسه في حرج شديد أمام الكم الهائل من المعلومات التي جمعها عن الموضوع ، مما حدى به لأن يتجه للاختيار والاختصار (٢٦) .

وقد نشر ترمنجهام أثناء وجوده في إفريقيا مالا يقل عن خمسة من مؤلفاته ، والتي بلغت حسب ما أشير إليه في بعض كتبه وفي مراجع أخرى ، خمسة عشر كتاباً (٢٧) . أما بعد عودته من إفريقيا فقد انشغل بمهمتين الأولى التدريس الجامعي ، والذي يبدو أنه استمر فيه إلى سنة ١٩٧٧ م . أما المهمة الثانية فهي مواصلة الكتابة ، فقد نشر بقية مؤلفاته في الفترة من ١٩٥٢ م إلى ١٩٧٩ م (٢٨) .

---

(٢٣) انظر **J.S. Trimingham,** *A History of Islam in West Africa,* p.6.

(٢٤) انظر : ص ٢٢٥ - ٢٢٦ من هذا البحث .

(٢٥) *Islam in The Sudan,* Preface, p.v.

(٢٦) *Islam in West Africa,* Preface, p.v.

(٢٧) *Two Worlds Are Ours,* P. ii; *Con. Authors,*pp.538-9; *Who's Who in Europe,* p. 2273.

(٢٨) *Con. Authors,* pp. 538-9; *Who's who in Europe,* p. 2273.

ولاشك أن ترمنجهام لم يكن من الكتاب المغمورين في حقل الدراسات الإفريقية، فما كسبه من خبرة أثناء عمله في إفريقيا وما ناله من تقدير بعد عودته إلى بلاده، وما لقيه من دعم ومنح للقيام ببحوث ميدانية في إفريقيا، لابد وأنه أضفى على دراساته قيمة في نظر الكتاب الغربيين المهتمين بهذا النوع من الدراسات.

ومن مظاهر التقدير والاهتمام التي لقيها ترمنجهام بعد رجوعه إلى بريطانيا أنه عين محاضرا في جامعة جلاسو في قسم الدراسات الإسلامية، فرئيسا لقسم الدراسات العربية والإسلامية فيها من سنة ١٩٥٦ م إلى ١٩٦٤ م وفي سنة ١٩٥٩ م منح شهادة الدكتوراه الفخرية من نفس الجامعة. كما منح جائزة في البحث الميداني من أمانة كارنجي لدعم جامعات سكتلندا سنة ١٩٦٠ م (٢٩).

ويصف أحد الكتاب المختصين دراسات ترمنجهام عن الإسلام في إفريقيا بأنها دراسات رائدة في بعض النواحي ثم يشير إلى أنه بعد كتابات ترمنجهام ظهر الكثير من الأبحاث الغزيرة عن الإسلام في إفريقيا سواء على مستوى المناطق الجغرافية أو الفترات التاريخية (٣٠).

وظهور دراسات جديدة أمر مألوف. وشأن دراسات ترمنجهام في ذلك شأن أي دراسة يمضي عليها فترة من الزمن. فطبيعي أن المعلومات تتجدد والمعارف تتطور في هذا المجال بفضل ما يستجد من اكتشافات لمخطوطات وشواهد وآثار، مما ينجم عنه حقائق جديدة. وربما كان ترمنجهام مدركا لما ستعاني منه دراساته من قصور، فقد أبدى في مقدمة أحد كتبه تذمره من قلة ماكتب من التراث الشعبي في غرب إفريقيا ومن قلة ماعرف وحقق من الكتب المخطوطة ذات العلاقة بالمنطقة (٣١).

لذا نجده في أكثر من موضع يدعو إلى مزيد من البحث والدراسة لكثير من المواضيع التي تناولها هو، وتحقيق كتب التراث في مجال تاريخ الإسلام والمسلمين في القارة الإفريقية (٣٢).

ولكن ذلك لم يقلل من أهمية دراسات ترمنجهام في نظر الباحثين الغربيين المتخصصين. فقد نُعتت، كما رأينا، بأنها دراسات رائدة. وعد باحث آخر كتابي

---

(٢٩) *Con. Authors*, pp. 538-9; *Who's Who in Europe*, p. 2273.

(٣٠) **P.B.Clarke,** *West Africa and Islam,* London, Edwrard Arnold, 1982, p. viii.

(٣١) *A History of Islam in West Africa* , op.cit. pp. 4,6.

(٣٢) *Ibid*, pp.6,7, *Islam in West Africa,* Preface, p.v.

ترمنجهام ، " الإسلام في غرب إفريقيا " و " تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا " ، من الكتب البارزة ضمن ماكتب عن الإسلام في إفريقيا (٣٣) ووصف الأستاذ جون فيج John Fage ماأورده ترمنجهام في كتابه " تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا " ، عن الممالك والإمبراطوريات التي قامت في بلاد السودان ، على أنه دراسة علمية تحليلية موسعة (٣٤) .

كما أن كتب ترمنجهام كثيرا ما يشار إليها كمراجع في البرامج الدراسية في المدارس والمراكز المتخصصة في الدراسات الإفريقية (٣٥) . وقل أن تجد أحدا من الكتاب الغربيين في الوقت الحاضر ، ممن هم مهتمون بتاريخ القارة الإفريقية ، لا يشير في أبحاثه إلى دراسات ترمنجهام ، عند تعرضه للحديث عن تاريخ الإسلام في إفريقيا وأثره على الإفريقيين .

ولاشك في أن مؤلفات المستشرقين تصبح أشد خطورة في مجال الدراسات الإسلامية عندما تكون من إنتاج كتاب جمعوا بين التنصير والاستشراق والعمل الجامعي ، كما هو الحال عند ترمنجهام . وذلك لِتوفر الدافع القوي المناهض للإسلام والمسلمين لدى من اتجه الى التنصير ، وتوفر المؤهلات العلمية المتخصصة المعينة على تحقيق هذا الهدف لدى من تخصص في مجال الاستشراق والتدريس الجامعي فالكاتب الذي يجمع بين هذه الأمور يكون أكثر استعدادا من غيره في بث الدس والتشويه من خلال كتاباته (٣٦) .

وإنه لمن نافلة القول أن يشار إلى أن خطورة كتابات المستشرقين لاتقتصر على ما يتخلل كتبهم من أخطاء في النقل أو سوء فهم عفوي للنصوص ، مما يقع فيه بعض المستشرقين ، بل الأمر يتجاوز ذلك إلى خطورة أهم ، ألا وهي القراءة المنحرفة للنصوص من المصادر

---

(٣٣) **Daniel Mccall** (ed), Boston University Papers on Africa, vol.1 1971,Intro., p. v-vi.

(٣٤) "Some Thoughtts on State Formation In The Western Sudan Before The Seventeenth Century",Boston University Papers In African History, vol.1,1964, p. 23.

(٣٥) ومن الأمثلة على ذلك :

- Centre of West African Studies, University of Birmingham, United Kingdom
- African Studies Centre, University of Boston, United States .
- School of Oriental and African Studies, University of London, United Kingdom.

(٣٦) لأمثلة أخرى لمستشرقين خدموا في مجال التنصير ، وعن الترابط والتعاون بين الاستشراق =

والطريقة غير العلمية التي تبرر بها الحقائق والمعلومات ، وما يترتب عليه من استنتاجات وتفسيرات خاطئة وبعيدة كل البعد عن الواقع ، كما سنلاحظه من خلال بعض الأمثلة مما كتبه ترمنجهام عن الإسلام في غرب إفريقيا .

فعلى سبسيل المثال ، سنرى فيما بعد كيف أن ترمنجهام لم يخطئ في الجزء الذي نقله من نص لابن حوقل عن أهل السودان ، بل ضل في تجاهله لبقية النص وفي تفسيره لمقصد المؤلف .

انتشار الإسلام

المرحلة الأولى : وهي المرحلة التي تمتد من بداية الاتصال بين المسلمين وبلاد السودان إلى ماقبل ظهور المرابطين ، وقد تطرق ترمنجهام في حديثه عنها إلى طبيعة الاتصالات الأولى ، وإلى المدى الذي وصل إليه الاسلام في المنطقة بعد أن حمله التجار إليها .

وفي نقاشه لهذه الجوانب ذكر ترمنجهام أن الموجة الأولى من انتشار الإسلام في غرب إفريقيا قامت على أسس اقتصادية ، وقال إن العرب لم يتجهوا إلى فتح السودان بل كانوا مهتمين فقط بتنظيم تجارة الذهب (٣٧) . وأشار إلى بعض الأحداث ليدلل على ذلك ، فذكر حمله حبيب بن أبي عبيدة الفهري (٣٨) (ت ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م) إلى بلاد السوس وأطراف بلاد السودان التي غنم فيها كميات من الذهب والرقيق سنة ١١٦ هـ (٧٣٤م) (٣٩) ، وحفر ابنه عبدالرحمن بن حبيب (ت ١٣٧ هـ/ ٧٥٤م) بعض الآبار

= والتنصير وخطورة ذلك ، انظر : قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية الرياض، دار الرفاعي ، ١٤٠٣ هـ ، ص ص ٥١ - ٥٣؛ أحمد غراب ، رؤية إسلامية للإستشراق، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ١٤١١ هـ ، ص ص ٥٠-٥٤ ، ٦١ - ٧٧؛

M. Hiskett, *The Development of Islam in West Africa,* London and New York , Longman , 1984, pp. 217-220.

(٣٧) *A History of Islam in West Africa*, p. 27.

(٣٨) يلاحظ أن خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٤٧ . ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٣٣ ، ذكرا ان الذي قام بالحملة هو ابنه عبدالرحمن بن حبيب . ويبدو أن ترمنجهام رجح أن الأب هو الذي قام بالحملة ، وهو الذي ذكره ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، لجنة البيان العربي ، ١٩٦١ م ، ص ٢٩٣ .

(٣٩) هذا التاريخ حسب ماورد عند خليفة بن خياط ، ص ٣٤٧ ، وحسب مايبدو كذلك من السياق عند ابن عبدالحكم ، ص ٢٩٣ . أما ترمنجهام فقد جعله ١١٨ هـ/ ٧٣٦ م .

على طريق التجارة المتجه إلى أودغست Awdaghast جنوب الصحراء ، والمعاملات التجارية التي قامت بين الدولة الرستمية وبعض ممالك السودان الغربي (٤٠) .

وترمنجهام بهذا التفسير للأحداث يربط بدايات اهتمام المسلمين ببلاد السودان ، واتصالهم المباشر بأهلها ، ونقل الإسلام إليهم ، بأهداف اقتصادية ، وذلك ليلغي فاعلية الناحية الدينية في هذا العمل عند المسلمين ، ويقلل من دور الاسلام وأهميته في عملية التطور التي حدثت في علاقات شمال الصحراء ببلاد السودان . ومما يؤكد هذا المنهج عند ترمنجهام قوله وبصيغة التعميم إن اهتمام التجار المسلمين بتبليغ الاسلام كان قليلا جدا (٤١) . وهذا يدخل ، في الواقع ، ضمن التفسيرات الاقتصادية التي طالما رددها بعض الكتاب الغربيين عن مسيرة الإسلام والمسلمين في إفريقيا وغيرها (٤٢) . ولكن ومع ذلك نجد منهم من أكد على أهمية دور قوة الاسلام كدين في حركة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها ، وكذلك أهمية الناحية الدينية بالنسبة للتاجر المسلم الذي كان يتنقل بين المنطقتين (٤٣) .

ويظهر شيء من الاضطراب في ملاحظات ترمنجهام حول المدى الذي وصل إليه انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي في هذه المرحلة . فقد ذكر ترمنجهام أنه في أوائل القرن

---

(٤٠) *A History of Islam in West Africa*, p. 27. عن حفر الآبار على هذا الطريق انظر : **عبدالله بن عبدالعزيز البكري** ، المُغْرب ، ص ١٥٧ . وعن معاملات الرستميين التجارية مع بلاد السودان انظر : **الحبيب الجنحاني** ، *المغرب الإسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية* ، تونس الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٧ م ، ص ص ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤١) *A History of Islam in West Africa*, p. 28.

(٤٢) انظر على سبيل المثال

C.Brockelmann, *History of The Islamic peoples,* Trans. By J. Carmichael and M. Perlman, London Routledge and Kegan Paul, 1980, pp. 54,56,62; **C. Julin,** *History of North Africa,* Trans. By J. Petrie, London, Routledge and Kegan Paul, 1970, pp. 5.21; **S.J Hogben** and **A. H.Kirk-Greene,** *The Emirates of Northern Nigeria,* London, Oxford University Press, 1966, p.11.

(٤٣) **M. Brett,** Islam and Trade in the Bilad Al-Sudan, 10th-11th Century A.D., *Journal of African History* **24**, 1983; **H.J.Fisher,** *The Cambridge History of Islam,* 1970, Vol.2, pp. 345-6; **P. J. Ryan,** *Imale; Yoruba Participation in the Muslim* Tradittion, Missoula, Scholars Press, 1978, p.17.

الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بدأ الإسلام ينتشر بين السودان [٤٤] . وذكر أيضا أن الإسلام في بلاد السودان كان دين المدن [٤٥] . بينما ذكر في مواضع أخرى أن عامة الناس في بلاد السودان لم يتحولوا إلى الإسلام ولا حتى تحولا ظاهريا ، ولم يتوقع ذلك منهم [٤٦]، وأن الإسلام كان محصورا هناك في التجار الغرباء وحاشية الملك [٤٧] ، وأكد ترمنجهام ذلك عندما وصف المجتمع الإفريقي بأنه منقسم إلى شرائح اجتماعية منفصلة عن بعضها وغير متداخلة (Segmentary Socieities) ، وقوله إن الإسلام ينتشر في طبقة اجتماعية معينة دون أن يؤثر ذلك في بقية الطبقات . سواء في هذه المرحلة أو المراحل الأخرى [٤٨] .

ولم يقتصر الأمر هنا على تناقض ترمنجهام مع نفسه في نظرته إلى انتشار الإسلام في غرب إفريقيا في هذه المرحلة ، بل هو أيضا يتعارض مع ماجاء في المصادر ، فالحسن المهلبي (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) يشير إلى وجود الإسلام في مملكة كوكو (جاو) Kawkaw (Gao) في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . ويذكر أن جميع أهلها كانوا مسلمين ، وأنها كانت تتكون من مدينتين ؛ إحداهما للملك وخاصته ، وله فيها مسجد يصلي فيه . أما مسجد الجماعة فيقع بين المدينتين [٤٩] ، ويشير البكري (ت٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) إلى استمرار ذلك عندما ذكر أن ملك كوكو كان مسلمًا وأن أهلها كانو لا يملكون إلا من كان مسلما [٥٠] . ونجد مايؤيد ذلك عند السعدي

---

(٤٤) *A History of Islam in West Africa*, p.28.

(٤٥) *Ibid.*,pp.7,31, *Islam in West Africa*, p.25..

(٤٦) *A History of Islam in West Africa*, p.29.

(٤٧) *Ibid.*,pp.7,31, *Islam in West Africa*, p.23..

(٤٨) انظر **عز الدين موسى** ، " انتشار الإسلام . . " ، ص ٤٧ ، "On The Nature of Islamiza-tion..", p.11 وقد بين الكاتب بوضوح ، (المقال الثاني ، ص ص ١١-١٦ ، ومقال آخر له : «الإسلام وإفريقيا »، العرب وإفريقيا : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، ط١ ، بيروت يناير ١٩٨٤م ، ص ص ٧٩-٨٠) أن هذه الأقوال لترمنجهام وغيره من المستشرقين هي من المفاهيم الخاطئة لظاهرة انتشار الإسلام في إفريقيا والتي راجت من خلال دراسات هؤلاء المستشرقين وعلماء الإفريقيات والأنثروبلوجيا .

(٤٩) نقلا عن : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٩م ، ج٤ ، ص٤٩٥ . وأورد ترمنجهام نص المهلبي (*A History of Islam in West Africa*, p.86.) ولكنه شك في أن يكون المقصود كوكو (جاو) ، وعلل ذلك بأن ماذكره المهلبي لا ينطق على أهلها وهم سنغي Songhay ، بل على شعب زغاوة Zaghawa . إلا أن هذا لا يغير من الأمر شيئا فسنغي وزغاوه كلاهما من شعوب السودان .

(٥٠) المغرب ، ص ١٨٣ .

(١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) الذي ذكر أن أهل كوكو كانوا مسلمين أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)(٥١) .

ويرى الأستاذ باسل ديفدسون Basil Davidson في الشواهد من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، والمكتوبة باللغة العربية على بعض القبور ، والتي كشفت قريبا من مدينة جاو الحديثة ، دليلاً على قدم الإسلام في المنطقة (٥٢) . وعلل الكاتب ذلك قائلا : إن هذا الحرص على التدوين حسب الآداب والمعارف الشائعة عند المسلمين لا يمكن إلا أن يكون له جذور قديمة(٥٣) .

وتحدث البكري عن المسلمين في بلاد غانة ، وهو أول من وصف هذه الإمبراطورية قبل سقوطها ، حيث كان معاصرا لقيام حركة المرابطين ، فذكر أن غانة كانت تنقسم إلى مدينتين ، واحدة خاصة بالمسلمين ، وفيها اثنا عشر مسجدا . أما الأخرى ، وهي قريبة من السابقة ، فيسكنها الملك ورعيته الوثنيون (٥٤) . وفي إشارات أخرى إلى تركزات المسلمين ذكر البكري أن مدينة غيارو Ghiyaru، والتي كان يتوفر فيها أحسن الذهب ، يكثر فيها المسلمين ، وأن مدينتي كوغة Kugha ويرسنيYaresna خاصتان بالمسلمين وكل من حولهما مشركون (٥٥) .

وعند حديثه عن الممالك جهة النهر ، الذي سمي فيما فيما بعد السنغال ، ذكر البكري أن حكام مملكة سلا Silla والتي صارت مسلمة مثل مملكة تكرور Takrur، كانوا في حرب متكررة مع العديد من القبائل الوثنية التي كانت تقطن المنطقة الواقعة بين مملكتهم ومملكة غانة (٥٦) .

وترمنجهام نفسه أشار إلى أن الإسلام انتشر في بلاد تكرور قبل أن يبدأ عبدالله ابن ياسين دعوته في الصحراء (٥٧) . وقد اعتمد ترمنجهام على نص صريح للبكري

---

(٥١) **عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران السعدي**، تاريخ السودان، تحقيق هوداس، باريس، إيرنيه ليرو، ١٨٩٨م، ص٣.

(٥٢) **باسل ديفدسون** ، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦١، ص١٥٦ .

(٥٣) إفريقيا تحت أضواء جديدة ، ص ١٥٦ .

(٥٤) المغرب ، ص ١٨٥ .

(٥٥) المغرب ، ص ص ١٧٧-١٧٩ .

(٥٦) المغرب ، ص ١٨٢ .

(٥٧) *A History of Islam in West Africa,* pp.43,45.

يقول فيه ، بعد أن ذكر جهود ملكهم في إقامة شرائع الإسلام في بلاده : " فأهل تكرور اليوم مسلمون " (٥٨) . وتحدث أحد الكتاب في هذا الصدد مقوما انتشار الإسلام في السودان الغربي في هذه المرحلة فقال إنه بالرغم من أن ماكتب في المصادر العربية عن غانة قليل جدا لايتعدي بضع صفحات ، إلا أن فيه مايدل على انتشار للإسلام في المنطقة . وقال أيضا إنه يوجد في بعض جوانب التراث الشعبي في بلاد السودان ، وما أجراه المنقبون الفرنسيون من حفائر في المنطقة ما يؤيد ذلك (٥٩) .

وذهب كاتب آخر ، وهو يتحدث عن مدى انتشار الإسلام في السودان الغربي ، إلى مايتفق مع هذا الرأي ، فذكر أن ماورد في المصادر الإسلامية من إشارات وملاحظات بخصوص بلاد السودان ، قبل سقوط غانة ، يؤكد ظهور أثر واضح للإسلام في المنطقة منذ وقت مبكر ، فاحتكاك أهل السودان بالتجار المسلمين الوافدين من الشمال لابد وأن ينتج عنه تأثرهم بالدين الجديد (٦٠) . ويؤكد كتاب آخرون ذلك الأثر بالقول إن المسلمين الذين كانوا في بلاد غانة قبل سقوطها لم يكونوا كلهم من الأجانب ، بل كان هناك مسلمون من السود أنفسهم (٦١) .

وينبغي التنويه هنا إلى أن المقصود بانتشار الإسلام كما يمكن أن يفهم من المصادر ، سواء في هذه المرحلة أو المرحلة التالية ، هو وجود الإسلام في المكان أو البلد ، وانتساب جماعات من الناس إليه . أما مدى معرفة أولئك الناس بالإسلام ، أو مدى صحة إسلام ذلك الفرد أو تلك الجماعة ، فأمور لا يمكن إعطاء قول فصل فيها . فالمهلبي ، على سبيل المثال ، فيما أورده عن كوكو ، يقول : " وملكهم يظاهر بالإسلام ، وأكثرهم يظاهر به " (٦٢) أيفهم من ذلك أن إسلام أهل كوكو كان مجرد مظهر ؟ أم أنهم كانوا يعلنون عن إسلامهم من باب إظهاره والافتخار به ، كما يمكن أن تعني الكلمة ؟! (٦٣) فهو في نفس

---

(٥٩) **J.D.Fage,** *"Some Thoughts on State Formation.."* pp.24,30

(٦٠) **M.Hiskett,** *op.cit.,* pp. 19,25.

(٦١) **إبراهيم علي طرخان** ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م ، ص ٤٧ ؛
N.Levtzion, "Patterns of Islamization in West Africa", in : **N.Levtzion** (ed), *Conversion to Islam* , New York and London, Holmes and Meier, 1979 , p. 209; **J.Hunwick,** *Islam and Africa* : Frind or Foe, Accra, Ghana University Press, 1975,p.9.

(٦٢) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٦٣) راجع : **ابن منظور** ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د.ت ، ج٤ ، ص ص ٥٢٦-٥٢٧ .

النص ، وكما رأينا في فقرات سابقة ، يقول : إنه كان لديهم مسجد للملك يصلي فيه وآخر للجماعة وأنهم جميعا مسلمون . والبكري ، كما أشير إليه في فقرة سابقة ، ذكر أن ملك كوكو كان مسلما ، وذكر أيضا أن أهلها إذا ولوا الملك عليهم دفعوا إليه خاتما وسيفا ومصحفا (٦٤) . ولكن البكري في نفس الوقت يشير إلى ممارسات وثنية وعبادة للأوثان عند هؤلاء (٦٥) . وهذه هي ظاهرة الخلط التي شاعت في بلاد السودان وتحدثت عنها مصادر متأخرة ، كما سيتضح معنا في صفحات تالية من هذا البحث .

ومما يلاحظ أن ترمنجهام بين بوضوح أنه في كل دراساته عن الإسلام في إفريقيا جعل مجرد إظهار الإسلام والانتساب إليه هو المعيار الذي يعتمد عليه في اعتبار وجود الإسلام من عدمه (٦٦) . ومع أن ماذهب إليه ترمنجهام هنا لايختلف في الغالب عما يمكن أن تعنيه المصادر ، وهي تتحدث عن الإسلام في هذه المنطقة أو تلك من بلاد السودان ، إلا أن ترمنجهام ، في ملاحظاته السابقة يجزم بعدم ظهور الاسلام بين عامة الناس ويحصره في حاشية الملك وفئة التجار .

والخلاصة أنه بالرغم من التضارب الذي ظهر على ملاحظات ترمنجهام حول المدى الذي وصل إليه انتشار الإسلام في السودان الغربي في هذه المرحلة ، وبالرغم من اطلاعه على المصادر ، إلا أنه واضح جدا أنه يختلف مع هذه المصادر ، وكذلك مع أكثر الكتاب ، ويذهب إلى أن وجود الإسلام في المنطقة كان محدودا ، وفي فئات معينة .

المرحلة الثانية : في إشارة عامة ذكر ترمنجهام أن هذه المرحلة شهدت انتشار سلميا بطيئا للإسلام عبر الصحراء إلى بلاد السودان (٦٧) . وأشار في موضع آخر إلى أن الإسلام استمر في الانتشار بالوسائل السلمية ، وأن سوننك Soninke (٦٨) لعبوا دورا في ذلك (٦٨) .

---

(٦٤) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٦٥) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٦٦) *The Christian Church and Islam in West Africa,* p.21.

(٦٧) " *The Phases of Islamic Expansion..*",p. 127.

(٦٨) سوننك وهم من الماندجو Mandingo ، أي من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة ماندي-Mande Speaking Peoples . لتفصيل أكثر عنهم انظر :
طرخان ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، ص ص ١٨-١٩ ؛ **A.Mabogunje,**"the Land And peoples of Africa," in **J.Ajayi** and **M.Crowder** (ed), *History of West Africa,* London, Longman , 1976 , vol . 1 , pp.15-18.

(٦٩) *A History of Islam in West Africa,* p.13.

كما ذكر أيضا أن المدن التجارية في بلاد السودان كانت تمثل مجالا طبيعيا لانتشار الإسلام [٧٠] ولكن ترمنجهام في ملاحظات أخرى جاول التأكيد على محدودية انتشار الإسلام في المنطقة . فعلى سبيل المثال ، قال إن المزارعين في المنطقة الواقعة شمال نهر السنغال وعلى طول الامتداد الشاسع لمنحنى نهر النيجر احتفظوا بوثنيتهم ولم يتأثروا بالإسلام بالرغم من تغلغله في المدن واعتناق الحكام له[٧١] . وذكر منهم ولوف Wolof وسرير Serer ، وقال عنهم إنه بالرغم من احتكاكهم بالمسلمين إلا أنهم لم يتحولوا إلى الإسلام إلا في القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي) [٧٢] .

وقال أيضا ان الإسلام لم يمتد إلى الجنوب لوقوف شعب موسى Mossi [٧٣] عقبة في سبيل ذلك [٧٤] .

كما استبعد ترمنجهام دول غينيا Guinea States من دراسته لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، معللا ذلك بأنها كانت بمنأى عن التأثر بالإسلام ، إذ إنها لم تكن على اتصال بالممالك السودانية [٧٥] .

وعلى العموم فإن ملاحظات ترمنجهام التالية ممكن أن تمثل تلخيصا لرؤيته لمدى انتشار الإسلام في المنطقة في هذه المرحلة :

- إن الإنتشار الفعلي للإسلام في غرب إفريقيا يجب ألا يعطى حجما أكبر مما هو عليه[٧٦] .
- إن وجود الإسلام تركز في الحكام ورجال الدين [٧٧] ، وفئات التجار الأجانب [٧٨] انطلاقا من نظرته إلى المجتمع الإفريقي على أنه مجزأ تستقل فئاته عن بعضها البعض ، كما أشير إليه سابقا .

---

(٦٤) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٧٠) Ibid.,p31 .

(٧١) Ibid.,p.32.

(٧٢) Ibid.,p.45.

(٧٢) نشأ شعب موسى في منطقة الفلتا العليا (دولة بوركينا فاسو في الوقت الحاضر) . وتوسعوا في بعض المناطق المجاورة لهم ، انظر :

E.P.Skinner, "Islam in Mossi Society", in :**Lewis(ed)**,*Islam in Tropical Africa*, p. 350 .

(٧٤) *A History of Islam in West Africa*, p.13.

(٧٥) *Ibid.,p.7, "The Phases of Islamic Expansion."*...,p.136.

(٧٦) *Islam in West Africa*, p.26.

(٧٧) هذا حسب تعبير الكاتب نفسه . ويقصد بهم الفقهاء والعلماء والأئمة . . إلى آخره .

(٧٨) *A History of Islam in West Africa*, p.3,"*The Phases of Islamic Expansion*..",p.128, "*The Expansion of Islam*",p23..

- إن انتشار الإسلام انحصر في المناطق الجافة من السودان حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي [٧٩] .
- إن الإمبراطوريات السودانية لم تكن إسلامية بل كانت وثنية في جوهرها [٨٠] .

ولكن هذه الملاحظات تختلف تماما مع المصادر ، ومع ما ذهب إليه كثير من الكتاب المحدثين . ويكفي أن نشير هنا إلى نماذج مما جاء في المصادر ، وإلى آراء بعض الكتاب المعاصرين ، للتدليل على هذا الخلاف . وليتبين في نفس الوقت أن وجود الإسلام في السودان الغربي ، وامتداده إلى الجنوب ، في هذه الفترة ، لم يكن بالصورة المتشائمة التي حاول ترمنجهام إبرازها للقارئ .

تحدث الإدريسي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) عن غانة فوصف أهلها بأنهم كانوا مسلمين [٨١] . وقد أورد ترمنجهام حديث الإدريسي عن غانة [٨٢] . كما استشهد به الأستاذ فيج للإشارة إلى انتشار الإسلام بين أهلها [٨٣] . واتفق الكاتبان على أنه بالرغم من الغموض الذي اكتنف حديث الإدريسي عن غانة إلا أنه ليس فيه مايبرر رفضه [٨٤] .

وتحدث ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) عن منسا سليمان ، أحد ملوك مالي [٨٥] . فذكر أنه عمل على بناء المساجد والجوامع ، وحرص على إقامة الجمع والجماعات ، وجلب فقهاء المالكية إلى مملكته . فكانت له بذلك مكانة عظيمة في بلاد السودان [٨٦] . وإلى جانب كثرة الجوامع في مالي كان هناك كثرة المصلين

---

(٧٩) "*The Expansion of Islam*",p24.."The Phases of Islamic Expansion..".,p.136.

(٨٠) *A History of Islam in West Africa,* p.3.

(٨١) الإدريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٦ .

(٨٢) *A History of Islam in West Africa,* pp.55-56.

(٨٣) " *Some Thoughts on State Formation...*",p.23.

(٨٤) *A History of Islam in West Africa* , p.56 ; " *Some Thoughts on State Formation ...* " ,p.23.

(٨٥) حكم منسا سليمان ، دولة مالي من سنة ٧٤٢ إلى ٧٦٢ هـ (١٣٤١-١٣٦٠م) ، ولمزيد من المعلومات عنه ، انظر : **إبراهيم على طرخان** ، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م ، ص ص ٩٤-٩٥ ؛

N.Levtzion, " The thirteenth and fourteenth century kinges of Mali," *Journal of Africa History,* iv, **3**, 1963, pp. 347 - 348.

(٨٦) **أحمد بن يحى بن فضل الله العمري**، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٨ م ، ج ٤ ، ص ٣٤ .

أيضا ، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) ، عندما ذكر مواظبة أهلها على الصلوات والجماعات حيث قال : " وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام " (٨٧) .

وكتب ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عن مالي ، معتمدا على أقوال بعض الشخصيات من بلاد السودان مثل الحاج يونس ويمال التكروري ، فذكر قدم الإسلام في أهلها وقال : " ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم " (٨٨) .

ووصف الحسن الوزان - ليوالإفريقي -(ت في حدود ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)أهل مالي بأنهم كانوا أكثر تحضراً وذكاءً واعتبارا من بين جميع السودان ، معللا ذلك بأسبقيتهم في الإسلام . كما ذكر أنه كان لديهم مساجد كثيرة ، وأئمة ، وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس (٨٩) .

وتتواتر الأقوال عن اهتمام ملوك مالي ببناء المساجد فقد ذكر السعدي أن منسا موسى ، أعظم ملوك مالي (٩٠) . اعتاد بناء مسجد في كل موضع أدركته فيه الجمعة وهو خارج عاصمته (٩١) .

ووصف السعدي مدينتي جنيJenne وتمبكتوTimbuktu ، فقال عن الأولى : إنها كانت سوقا عظيما من أسواق المسلمين ، وأن أهلها كانوا قد أسلموا في نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) عندما أسلم سلطانهم كنبر Kanbar (٩٢) وقال عن الثانية : إنها كانت مدينة إسلامية منذ أن أنشئت في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . وظلت مركزا للفقهاء والعلماء في بلاد السودان (٩٣) . وأشار

---

(٨٧) **محمد بن عبدالله اللواتي المشهور بابن بطوطة** ، *رحلة ابن بطوطة* ، تحقيق علي المنتصر الكتابي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢م ، ج ٢ ، ص ٧٩٠ .

(٨٨) **عبدالرحمن بن محمد بن خلدون**، *العبر وديوان المبتدأ والخبر* ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٧١م ، ج ٥، ص٤٣٣ .

(٨٩) **الحسن بن محمد الوزان** (ليو الإفريقي) ، *وصف إفريقيا* ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣م ، ج ٢ ، ص ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٩٠) حكم منسا موسى ، دولة مالي من سنة ٧١٢ إلى ٧٣٨ هـ (١٣١٢-١٣٣٧م) ، ولمزيد من المعلومات عنه انظر : **طرخان** ، دولة مالي الإسلامية ، ص ص ٨٦-٨١ .

N.Levtzion, "The thirteenth and fourteenth century kinges of Mali " , pp. 347,349.

(٩١) تاريخ السودان ، ص ٧ .

(٩٢) تاريخ السودان ، ص ص ١١-١٢ .

(٩٣) تاريخ السودان ، ص ص ٢٠-٢١ .

السعدي أيضا إلى كثرة الفقهاء والعلماء فيها . فذكر أن حاكم تمبكتو لما سمع بقدوم سني علي (٩٤) لغزوها في سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، أحضر ألف جمل لترحيل الفقهاء والعلماء منها إلى بير Biru (٩٥) ، خوفا عليهم من هذا الحاكم (٩٦) ، الذي وصف بالظلم والفجور (٩٧) .

وعُرف عن أسكيا محمد (٩٨) ، أهم ملوك سنغي ، حرصه على إظهار الإسلام والتمكين له في البلاد (٩٩) . ومما يشير إلى ذلك جهاده ضد موسى Mossi (١٠٠) ، وتقريبه للفقهاء ، واهتمامه بتعيين القضاة في كل بلد تحتاج إلى قاض (١٠١) ، وكذلك اتصاله بالعلماء في مصر ، وشمال إفريقيا ، ومقابلة بعضهم أثناء أدائه فريضة الحج سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٤ م) (١٠٢) .

وقد أشار ترمنجهام إلى قوة إسلام أسكيا محمد ، وكذلك أسكيا داود ، أحد خلفائه . كما أشار إلى جهود هذا الأخير في نشر العلوم الإسلامية (١٠٣) .

كما أشار بعض الكتاب إلى أن هذا الاتجاه لدى أسكيا محمد أدى إلى قوة الإسلام في المنطقة ، وقوة الإمبراطورية نفسها ليس في الجانب السياسي فحسب بل وفي الجانب الثقافي أيضا (١٠٤) .

---

(٩٤) سني علي : مؤسس إمبراطورية سنغي ، توفي سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢ م . لمزيد من المعلومات عنه ، انظر : **محمود كعت بن الحاج ، المتوكل كعث** ، *تاريخ الفتاش* ، تحقيق هوداس وديلافوس ، باريس ، إرنيه ليرو ، ١٩١٣ م ص ص ٤٣ ، ٥٢ ؛ تاريخ السودان ، ص ص ٦٤ ، ٧١ .

(٩٥) بير اسم آخر لولاته ، وتقع إلى الشمال الغربي من تمبكتو ، انظر :

Trimingham, *A History of Islam in West Africa,* p.58; **J.Fage,** *An Atlas of African History,* Edward Arnold Ltd., Ist ed., 1958,p.19.

(٩٦) تاريخ السودان ، ص ٦٥ .

(٩٧) تاريخ الفتاش ، ص ٤٣ تاريخ السودان ، ص ص ٦ ، ٦٤ .

(٩٨) تولى أسكيا محمد السلطة في سنغي من ٨٩٨ هـ إلى ٩٣٥ هـ (١٤٩٢ - ١٥٢٨ م) لمزيد من المعلومات عنه : انظر : *تاريخ السودان* ، ص ص ٧١ - ٨٢ .

(٩٩) تاريخ الفتاش ، ص ٥٩ ؛ *تاريخ السودان* ، ص ٧٢ .

(١٠٠) عن جهاد أسكيا محمد ضد موسى ، انظر : *تاريخ الفتاش*، ص ٧٠ ؛ *تاريخ السودان*، ص ٧٤ .

(١٠١) *تاريخ الفتاش* ، ص ٥٩ .

(١٠٢) *تاريخ الفتاش* ، ص ص ٦٥ ، ٦٨ - ٦٩ ، *تاريخ السودان* ، ص ص ٧٢ - ٧٣ .

(١٠٣) *A History of Islam in West Africa,* pp. 97,99 .

(١٠٤) **M.Hiskett,** *op.cit.*,pp. 34 - 45 ; **J . Hunwick,** "Religion and State in The Songhay Empire , "*in : Islam in Tropical Africa* , pp. 304 - 305 ; **P. B. Clarke** , op.cit.,p.50.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الإسلام انتشر بين تكرور ، أحد شعوب منطقة نهر السنغال، وأصبح دينا للحكام والأغلبية الساحقة من الرعية . ويذكر الكتاب أنه استمر كذلك بالرغم من تمزق بلادهم وفقدهم لاستقلالهم [١٠٥] . ليس ذلك فحسب بل إن شعب تكرور عرف بحماسه وجهوده المتواصلة للعمل على نشر الإسلام بين الشعوب والجماعات الأخرى في غرب إفريقيا [١٠٦] . وقد أكد ترمنجهام ذلك في إشارة صريحة [١٠٧] .

وذكر الرحالة كادا مستو Cada Mosto (ت ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) [١٠٨] أن حكام ولوف ، وهم من شعوب منطقة نهر السنغال أيضا ، كانوا على دين الإسلام ، وأنه كان يوجد في بلادهم كثير من دعاة المسلمين من السود والعرب القادمين من مناطق أخرى . وقال أيضا إن بعضا من أولئك الدعاة كانوا يقدمون خدماتهم الدينية للناس في المسجد الذي لا يكاد يخلو منهم [١٠٩] . ويبدو أن دور أولئك الدعاة لم يقتصر على المسجد بل تعداه إلى لعب دور في بلاط الحكام [١١٠] .

ويصف أحد الكتاب فترة النصف الثاني من القرن التاسع الهجري(النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي) بأنها كانت فترة طفرة شهدها الإسلام في مدى انتشاره

---

(١٠٥) **M.Hiskett,** *op.cit.*,p. 28; **N. Levtzion,** "The Early States of the Western Sudan to 1500," In : *History of West Africa*, vol. 1, pp. 128 - 129 .

(١٠٦) **علي الخاتم** ، *الإسلام في السودان الغربي - آثاره السياسية والثقافية* ، دراسات إفريقية ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥ ، إبريل ١٩٨٥ ، ص ص ١٨٦ - ١٨٧ ؛

Umar Al-Naqar , *The Pilgrimage Tradition in West Africa* , Khartoum , Khartoum University Press,n.d.,p.4.

(١٠٧) *A History of Islam in West Africa*, p.47.

(١٠٨) وهو Alvise Da Ca da Mosto ، مواطن إيطالي ، سافر إلى البرتغال للبحث عن عمل . ومن هناك رحل إلى إفريقيا ضمن أسطول برتغالي . لذلك يتحدث عنه بعض الكتاب على أنه رحالة برتغالي انظر : *The Voyages of Cada Mosto* , Trans . By G.R. Crone , Hakluyt Society Series , 2 , No . 80 , 1937 , pp. xxx-xxxii.

(١٠٩) *The Voyages of Cada Mosto* , pp. 31,40.

ويورد رحالة أوروبي آخر ، كتب رحلته في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، مايتفق مع ماذكره كادا مستو بخصوص جنسيات الدعاة ، فيذكر أن بعض الدعاة ، ويسميهم Marabauts كانوا يأتون إلى بلاد الولوف من أماكن بعيدة وذكر فاس ومراكش . انظر : **P.B Clarke** , *op..cit* .,p.33.

(١١٠) *Ibid.*,p.34.

في بلاد السودان الغربي (١١١) .

ويورد نفس الكاتب ، في مقال آخر ، ملاحظة لها دلالتها في تقويم مدى انتشار الإسلام في بلاد السودان في هذه المرحلة . إذ يقول إن حركات الجهاد الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) ظهرت في مجتمعات بعضها كان يضم أعداداً كبيرة من المسلمين ، وبعضها كانت الأغلبية الساحقة فيه من المسلمين ، وهدفها الأساس كان إصلاح المجتمعات التي كانت تنتمي إلى الإسلام ، ومحاربة مااعتقد المصلحون أنه مناف للإسلام ، هذه الحركات ماكان لها أن تقوم أو أن يتصور أحد قيامها بدون أن يكون هناك تواجد سابق للتراث الإسلامي والعلوم الإسلامية ، له جذوره وشموليته في المنطقة (١١٢) .

فالكاتب ، بمعنى آخر ، يرى ، وهو محق في ذلك ، أن قيام حركا ت الجهاد الاسلامية في غرب إفريقيا دليل على قدم انتشار الإسلام وثبات وجوده في المنطقة . بل إننا نجد عند ترمنجهام إشارة صريحة لا تختلف مع هذا الاستنتاج . فقد قال إن أهمية هذه المرحلة من مراحل انتشار الإسلام تتمثل في أن الإسلام نُقل من المحيط الخارجي إلى قلب الحياة العامة ، الأمر الذي أدى إلى تغيير في علاقة المجتمعات السودانية بالإسلام (١١٣) . وهذه في الحقيقة ، إشارة متفائلة من ترمنجهام بشأن انتشار الإسلام في المنطقة ، إلا أنها ، ولسوء الحظ لاتتفق مع مانقلناه عنه في بداية الحديث عن هذه المرحلة ، وبالأخص محاولته إظهار الإسلام على أنه كان دين طبقة معينة Class Religion حيث كرر في أكثر من موضع الزعم بأن الإسلام تركز في الحكام ورجال الدين والتجار الأجانب .

أما قول ترمنجهام إن شعب موسى منع امتداد الإسلام إلى الجنوب وإن دويلات منطقة غينيا لم تكن على اتصال بممالك السودان الغربي ، فإنه يحتاج إلى وقفة خاصة ،

---

(١١١) **J.O.Hunwick**, *Religion and State in The Songhay Empire* , p. 304 ; وانظر أيضا . **Skinner** , *op.cit.*, p. 350

(١١٢) **J.O.Hunwick** , *Islam and Africa : Frind or Foe*, p. 9 .

(١١٣) "The Expansion of Islam" , p 24 .

لأن ترمنجهام بذلك ينكر أي أثر لبلاد السودان الغربي على دويلات غينيا ، ويزعم صراحة بانقطاع الصلة بينهما من الأساس بينما الأمر على عكس ما ذهب إليه . هذا علاوة على أن ترمنجهام تحدث في هذا الخصوص في مواضع أخرى ، بما ناقض به نفسه كما سيتبين في فقرات تالية .

والواقع أن شعب موسى لم يقف ضد امتداد الإسلام إلى الجنوب . فهؤلاء ، بالرغم من دخولهم في حروب مع مالي ثم سنغي ، ورفضهم اعتناق الإسلام في ذلك الوقت(١١٤)، إلا أنهم لم يمنعوا دخول التجار المسلمين إلى بلادهم . فقد تحدث الكتاب عن هجرات للتجار المسلمين إلى ممالك موسى الشمالية نتج عنها استقرار للمسلمين هناك . وهم الذين أطلق عليهم يارسي Yarse ويعود أقدم تلك الهجرات إلى تاريخ يتراوح بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين)(١١٥) .

كما حدثت هجرات أخرى إلى ممالك موسى الجنوبية خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) نتج عنها كذلك استقرار للمسلمين ، خاصة في مملكة داجومبا Dagomba (١١٦) . ومما يدل على أهمية تواجد المسلمين في هذه الأجزاء من بلاد موسى أنه مع بداية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) أنشئ في بغايوغو Baghayughu ، إحدى مدن داجومبا ، مكتب لرئيس المسلمين في المنطقة (١١٧) .

والواضح أن مقاومة موسى للإسلام لم تكن بدافع من عداء للإسلام نفسه ورغبة في الوقوف في وجه زحفه إلى الجنوب . بل كانت تعبيرا ومظهرا من مظاهر رفضهم لهيمنة الكيانات السياسية الكبرى في السودان الغربي . ومما يشير إلى ذلك قبولهم الطوعي للدخول السلمي للإسلام في بلادهم من خلال الأعداد الكثيرة من التجار المسلمين واستقرارهم بين ظهرانيهم (١١٨) .

---

(١١٤) هاجم موسى مدينة تمبكتو أيام دولة مالي . ولما قامت دولة سنغي هزمهم سني علي سنة ٨٨٢ هـ/ ١٤٧٧ م . ثم هزمهم أسكيا محمد في جهاده ضدهم سنة ٩٠٤ هـ/ ١٤٩٨ م ، انظر تاريخ السودان ، ص ص ٨ , ٢٧ , ٦٩ , ٧٤ .

(١١٥) **N.Levtzion,** *Muslims and Chiefs in West Africa,* Oxford, Clarendon Press, 1968, p.6; **E.P.Skinner**,op.cit.,p.354; **Hiskett,** op.cit.,pp.123-124.

(١١٦) **I .Wilks ,** "The mossi and Akan States 1500 - 1800", in : Ajayi and Crowder (ed), *Hitory of West Africa,* vol.1,p.422; **Levtzion,** *Muslims and Chiefs*, p.86.

(١١٧) **I.Wilks,** "*The Mossi and Akan States*", p.422.

(١١٨) **N.Levtzion,** *Muslims and Chiefs*,p. 164; **M.Hiskett,** *op.cit.*,p.123.

وكذلك لم تكن دويلات غينيا في معزل تام عن الممالك الإسلامية في السودان الغربي كما زعم ترمنجهام . إذ إن هناك من الكتاب من أكدوا على أن هجرات التجار المسلمين من ديولا Dyula (١١٩) ، وغيرهم لم تقتصر على بلاد موسى ، وإنما تعدتها إلى بلاد أكان Akan (١٢٠) في منطقة الفلتا ، حيث وصلوا إلى هذه المنطقة وأصبحوا من العناصر الفعالة في كثير من البلدان والمراكز التجارية فيها منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) (١٢١) . بل واخترقوا الغابات الاستوائية ووصلوا إلى ساحل غينيا نفسه (١٢٢) .

ومن هذه المراكز التجارية بيغو Bighu (١٢٣) التي كان المسلمون يسيطرون على تجارتها ، وكانت ترتبط مباشرة بمدينة جني في السودان الغربي (١٢٤) . ومنها أيضا جونجا Gonja (١٢٥) ، وبونا Buna (١٢٦) ، وكونج Kong (١٢٧) ، انظر الشكل رقم (١) .

ومما يؤيد ماقيل آنفا عن وجود المسلمين في منطقة غينيا ماقدمه الأستاذ ولكس Wilks

---

(١١٩) يعود أصل هؤلاء التجار ديولا إلى ماندي Mande ، لمزيد من المعلومات عنهم ، انظر : **M.Hiskett,***op.cit.*,p.45.

(١٢٠) لشعوب أكان ممالك شمالية في منطقة الفلتا ، وممالك جنوبية في منطقة الغابات ، ومن أهم شعوبهم أشانتي Ashanti ، انظر :
I .Wilks , "The mossi and Akan Stats," pp.413, 423,433;.**Mabogunje**,op.cit.,p.24.

(١٢١) **I .Wilks ,** "The mossi and Akan Stats", **N.Levtzion**, *Muslims and Chiefs*, pp. 7-8,53-54; **I.M.Lewis,** *Islam in Tropical Africa*, Intro.,p17.

(١٢٢) **I.Wilks,** " The mossi and Akan Stats", **N.Levtzion,** *Muslims and Chiefs*, p. 4; **M.Hiskett,** op.cit.,p.134.

(١٢٣) كانت بيغو من المراكز التجارية الهامة في بلاد أكان . وتدهورت في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . وتقع إلى الجنوب من نهر الفلتا الأسود ، انظر :
I .Wilks , " The mossi and Akan States ", pp.424-425 .

(١٢٤) Ibid.,p.425 .

(١٢٥) تقع جونجا إلى الجنوب الغربي من داجومبا ، آخر ممالك موسى الجنوبية ، انظر :
N.Levtzion *Muslims and Chiefs* p.50.

(١٢٦) تقع بونا إلى الغرب من نهر فلتا الأسود .
انظر : *Ibid.*,
انظر أيضا : **M.Hiskett,** *op.cit.*,p.133.
الذي ذكر أنها أصبحت في ذلك الوقت مركزا مهما للتعليم الإسلامي في بلاد أشانتي .

(١٢٧) تقع كونج إلى الشمال الغربي من بيغو .

من دراسة ارتكزت على أبحاث ميدانية ، أثبت فيها أنه بحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان التراث الإسلامي قد تبلور وثبت وجوده في المنطقة . وقد دلل على ذلك بوجود عدد كبير من المخطوطات لكتب إسلامية بعضها مؤلف من قبل مثقفين محليين (١٢٨) .

وأكد الأستاذ هودكن Hodgkin ذلك ، وكان من المتابعين عن كثب لأعمال ولكس الميدانية في هذا الخصوص ، وقال إن المخطوطات الإسلامية في منطقة غينيا كثيرة جدا ولم يعرف منها إلا القليل (١٢٩) .

ومن هذا المنطلق حمل كل من هذين الأستاذين ، ولكس وهودكن ، على الكتاب الذين يتجاهلون أو ينكرون أثر الإسلام على منطقة غينيا (١٣٠) . ومن ذلك ما قاله هودكن من أن الاعتقاد بأن المنطقة التي تشغلها الآن دولة غانا كانت تقع خارج نطاق الإسلام ، وأن تأثير الإسلام عليها كان سطحيا جدا ، لا يعدو أن يكون أسطورة من تلك الأساطير التي ورثها الناس من فترة الاستعمار . ودعا الكاتب إلى التخلي عن هذا الاعتقاد (١٣١) .

وقد أشار ولكس إلى ترمنجهام كواحد من هؤلاء الكتاب واستشهد على ذلك باستبعاد ترمنجهام لمنطقة غينيا من دراسته لتاريخ الإسلام في غرب إفريقيا (١٣٢) .

وأكد الأستاذ لفتزيون Levtzion ، معتمدا على دراسة ميدانية أخرى في المنطقة ،

انظر : **I .Wilks** , " The mossi and Akan States" , p.430.

وهي الأخرى أصبحت فيما بعد مركزا للتعليم الإسلامي ، انظر : **M.Hiskett**,*op.cit.*,p126.

(١٢٨) **I. Wilks,** "The Growth of Islamic Learning in Ghana", *Journal of The Historical Society of Nigeria*,ii,4,,1963,p.412 - 413 .

وللأستاذ ولكس دراسات أخرى عن الإسلام في منطقة غينيا وعن علاقتها بمنطقة نهر النيجر منها :
"The Northern Factor in Ashanti History : Begho and The Mande", *Journal of African History*,ii.1.1961, "Early Fante Islam", *Ghana Bulletin of Theology*, 1,7.,1959 and I,8, 1960. "A Note on The Early Spread of Islam in Dagomba", *Transactions of The Historical Society of Ghana* viii,1966. "A Medieval Trade Route from The Niger to The Gulf of Guinea", *Journal of Africal History*, iii,2,1962.

(١٢٩) **T.Hodgkin,** "The Islamic Literary Tradition in Ghana", in : *Islam in Tropical Africa*,p.442.

(١٣٠) انظر "The Growth of Islamic Learning in Ghana" , pp. 409 - 410 ; " The Islamic Literary Tradition in Ghana",p.443.

(١٣١) "The Islamic Literary Tradition in Ghana", p. 444.

(١٣٢) "The Growth of Islamic Learning in Ghana", p. 410.

أهمية التراث الإسلامي في منطقة الفلتا . وانتقد هو الآخر الكتاب الذين لا يلقون بالاً لأثر الإسلام فيها [١٣٣]

ونخلص من هذا كله إلى أنه كان هناك اتصال بين دويلات غينيا والممالك الإسلامية في السودان الغربي ، وتواجد للإسلام والمسلمين فيها قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، لأن مثل هذا التراث لا يمكن أن يظهر خلال فترة قصيرة من الزمن .

ومن الملفت للنظر أن ترمنجهام في الوقت الذي يرى فيه عدم وجود اتصال بين دويلات غينيا وبلاد السودان الغربي ، ووقوف موسى في وجه تقدم الإسلام إلى الجنوب ، نجده يتحدث في مواضع أخرى بما يتفق مع ماذهب إليه ولكس وهودكن ولفتزيون وغيرهم ، من أن التجار المسلمين وصلوا إلى منطقة الفلتا وأنشأوا لهم مراكز هناك . فقد تحدث ترمنجهام عن دور الديولا في نقل الإسلام إلى تخوم الغابات الاستوائية ، وقال إن هؤلاء التجار المسلمين كانوا يقومون برحلات إلى الجنوب فأصبح من عادتهم التغلغل داخل أطراف الغابات الاستوائية للمتاجرة مع أهل الجنوب الوثنيين ، حتى أصبحت مراكزهم في منطقة السفانا الجنوبية تشكل دويلات صغيرة داخل مناطق الوثنيين . وذكر من هذه المراكز بيغو وكونج [١٣٤] . وقال في موضع آخر إنه بالرغم من حالتي الفوضى وقلة الأمن التي أعقبت الغزو المغربي للسودان إلا أن التجار المسلمين الديولا استطاعوا أن ينشئوا لهم آلافا من المستعمرات في الجنوب [١٣٥] . وعلاوه على ذلك أشار ترمنجهام إلى شهادة بعض الرحالة البرتغاليين بأن

---

(١٣٣)ظهرت دراسة لفتزيون هذه في كتابه :

Muslims and Chiefs in West Africa : A Study of Islam in The Middle Volta Basin in The Pre - Colonial Period .

والمشار إليه في هوامش سابقة ، والذي أثنى فيه (ص ص ١٨ - ١٩ من المقدمة) على جهود ولكس وهودكن في هذا الشأن وقال : إن ماتوصلا إليه من نجاح في البحث عن المخطوطات الاسلامية في منطقة غينيا كان أكبر من المتوقع بكثير . ثم ذكر أنه خلال سنتين من عمل ولكس الميداني (من صيف ١٩٦٢إلى ١٩٦٤ م)تم جمع ٣٥٠ مخطوطة إسلامية . واستمر العدد في ازدياد خلال عملية البحث .

(١٣٤) *A History of Islam in West Africa*, pp.31,60.

(١٣٥) *Ibid.*, P. 141 .

هؤلاء التجار المسلمين اخترقوا الغابات الاستوائية ووصلوا إلى ساحل غينيا (١٣٦) .

وتحدث ترمنجهام عن الفترة الواقعة بين سقوط دولة سنغي وقيام حركات الجهاد الإسلامية في غرب إفريقيا وكأنها مرحلة ثالثة تسبق مرحلة الجهاد ، ولكنه لم يعدها كذلك في تقسيمه لمراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا (١٣٧) . وقد اعتمد ترمنجهام في دراسته لهذه الفترة ، إلى حد بعيد ، على القول بأن زوال الدول الإسلامية في غرب إفريقيا أدى إلى رجوع الناس إلى الوثنية أو الازدواجية الدينية التي حُيدت معها قوة الإسلام وفاعليته تماما (١٣٨) . فهذه الفترة ، عند ترمنجهام ، شهدت انتهاء قوة الإسلام السياسية المتمثلة في السلطة الغالبة ، الأمر الذي أدى إلى رجوع الناس عن الإسلام وانحساره عن المنطقة . وهذا يعني أن ترمنجهام من الذين يرون أن من أسباب تواجد الإسلام وانتشاره في غرب إفريقيا اعتماده على السلطة(١٣٩) . ولكن هذا المفهوم يتناقض مع استنتاجات سابقة لترمنجهام مثل ما ذكره عن الانتشار السلمي للإسلام ، وقوله عن المرحلة الثانية ، وهي التي تهمنا الآن ، إن الإسلام نُقل خلالها من المحيط الخارجي إلى قلب الحياة العامة ، الأمر الذي أدى إلى تغير في علاقة المجتمعات السودانية بالإسلام ، ووصفه الإمبراطوريات السودانية بأنها كانت وثنية في جوهرها . هذا بالإضافة إلى ما فيه من تعارض مع ما عرف وقيل عن الفترة المذكورة(١٤٠) . ويبدو أن ترمنجهام تحاشى إبراز هذا المفهوم كمرحلة قائمة بذاتها في محاولة منه لإخفاء هذا التناقض .

---

(١٣٦) *Ibid*., P. 141 , Footnote no. 1.

(١٣٧) انظر ص ١٩١ من هذا البحث حيث أشير إلى المراحل الأربع التي ذكرها ترمنجهام .

(١٣٨) انظر : *Ibid*., pp. 141 , 144 - 145 . *The Expansion of Islam* , p. 17. *The Phases* of *Islamic Expansion*.. , p. 128 .

(١٣٩) ناقش عز الدين موسى هذا المفهوم الخاطئ لظاهرة انتشار الإسلام في إفريقيا ، انظر : On *the Nature of Islamization*.. , pp. 15-23, *الإسلام وإفريقيا* ، ص ص ٧٤ - ٧٥ .

(١٤٠) انظر ما ورد في الصفحات السابقة من هذا البحث عن امتداد الإسلام إلى بلاد موسى ومنطقة الغابات ، وانظر أيضا :

J. R. Willis, "The western Sudan From the Moroccan Invasion (1591)to the Death of Al-Mukhtar Al-Kunti (1811)" . *In : History of West Africa*, Vol. 1, pp. 539-552 ; **I.U. Musa** , "On the Nature of Islamization.. " . p. 19 **M. Hiskett** , *op.cit*.. pp. 153 . 155 .

وبعد هذا التفصيل حول ما كتبه ترمنجهام عن انتشار الإسلام في السودان الغربي لابد من التساؤل لماذا اتجه ترمنجهام إلى محاولة إظهار انتشار الإسلام على أنه أقل مما كان عليه ؟ ولماذا هذا الاضطراب في ملاحظاته حول هذا الموضوع ؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نأخذ في الاعتبار أن ترمنجهام ، كما سبق توضيحه ، كاتب جمع بين الاستشراق والتنصير وأنه أيضاً ارتبط بالتنصير في إفريقيا . ومعلوم أن هذه القارة غدت ساحة تنافس شديد بين الإسلام والمسيحية منذ القرن الميلادي السابق عندما تسابقت الإرساليات التنصيرية للمجيء إلى القارة مستغلة ما هيأه الاستعمار من ظروف ملائمة لها(١٤١) . ويكفي للتدليل على أهمية هذا التنافس بالنسبة لترمنجهام والإرساليات التنصيرية التي كان يمثلها الإشارة إل مناداته المتكررة إلى أن يكون هناك تمركز قوي للمسيحية في أعماق المناطق الداخلية في غرب إفريقيا ، وعدم الاكتفاء بالمناطق الساحلية ، ودعوته أيضاً إلى إنشاء كنيسة في كل قرية من قرى المسلمين في غرب إفريقيا (١٤٢) . وهذه لم تكن مناداة عابرة من ترمنجهام بل كانت نتيجة المسح الميداني للإسلام في غرب إفريقيا والذي قام به سنة ١٩٥٢ م والمشار إليه سابقا (١٤٣) . إذن من البديهي أن يكون من الأهداف الأولية لمن هو في موقع ترمنجهام ألاّ يظهر الإسلام بأي صورة تميزه عن غيره من الأديان في نظر الإفريقي . فالخلفية التاريخية القوية الجذور للإسلام ، وارتباط الإفريقي المسلم بها ، وقوة أثرها على المجتمعات الإفريقية ، يجب أن يثور حولها الشك والشبهات . لذا نرى ترمنجهام يقول عن الإسلام إنه لم يكن واسع الانتشار في المنطقة ، فلم يكن دينا لعامة الناس

---

(١٤١) انظر : . I. M. Lewis . *Islam in Tropical Africa* . Intro ., p. 3 الذي يقول بصريح العبارة : إن الإسلام والمسيحية يتنافسان على الأتباع الجدد في إفريقيا . وإن دراسة الإسلام فيها تمثل حقلاً خصباً للدارسين المتخصصين ، جدير ببذل جهود أعظم وأدق مما هو مبذول الآن . وانظر **ساسي الحاج ،** *الظاهرة الاستشراقية* ، ص ص ٨٧ – ٩٠ ؛ **J. D. Fage** . *A History of West Africa* . pp. 128 - 129 .

(١٤٢) انظر : . *The Christian Church and Islam in West Africa* , pp. 35-36, 47, 52 يقول ترمنجهام (ص ٤٧) : « إن الحاجة الآن ماسة ندعم وتقوية إمتداد التنصير في غرب إفريقيا ، وذلك لسببين» ، وجعل تحدي الإسلام للمسيحية في إفريقيا أحد هذين السببين ، إذ يقول في ذلك :
"The Second is that Islam is to - day challenging Christianity as the religion of the Blacks" .

(١٤٣) انظر : ما كتب عن دراسات ترمنجهام في هذا البحث .

وإنما كان خاصًا بالتجار الغرباء وأهل السلطة Class Religion وأنه لم يكن له أي تأثير على المناطق الجنوبية . إلى غير ذلك مما قاله ترمنجهام وهو يكتب عن تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا .

ولكن ترمنجهام لا يجد مناصًا من التسليم أحيانًا لما جاء في المصادر . لذا فهو يذكر في بعض المواضع ما يُشير إلى انتشار كبير للإسلام ، كما تبين من ملاحظاته السابقة . ويشير في مواضع أخرى إلى قوة أثر الإسلام ونفوذه بين أهل السودان(١٤٤) . والذي يبدو أن ترمنجهام في هذه الدراسة حاول التوفيق بين هدفه كمنصر وبين ما جابهه من حقائق في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا لا تتماشى مع هذا الهدف . ومن هنا جاء عدم الانسجام في مرئياته وملاحظاته حول انتشار الإسلام في غرب إفريقيا .

وعموماً فإن عملية التوفيق هذه لم تنجح ، فترمنجهام ، وإن تحدث عن انتشار للإسلام ، فإنه فسره تفسيراً منحرفًا يخدم هدفه التنصيري ، كما سنرى في الصفحات التالية .

ونخلص إلى القول أن ترمنجهام ، سواء وهو يكتب عن انتشار الإسلام أو وهو يُفسر أسباب الانتشار ، يسعى إلى تثبيت الصورة المنفرة من الإسلام لأن من أشد ما واجهه المنصرون من عقبات في غرب إفريقيا وأثار نقمتهم ، هو الصعوبة البالغة التي تقف في وجه من يريد نزع الإفريقي من حظيرة الإسلام . وهذا واضح جدًا مما كتبه ترمنجهام نتيجة المسح آنف الذكر ، حيث أشار مراراً إلى رسوخ جذور الإسلام في المنطقة واستمرار غربة الكنيسة(١٤٥) . فمن المؤكد أن كاتب مثل ترمنجهام يُدرك ماذا تعني ملاحظات مثل تلك التي أوردها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وكان شاهد عيان ، عندما ذكر أن الواحد من أهل مالي كان يضع ابنه

---

(١٤٤) *A History of Islam in West Africa* , P. 4.

(١٤٥) *The Christian Church and Islam in West Africa* , pp. 12 , 14 , 22 , 24 , 46 .

وعلى سبيل المثال ، يعلل ترمنجهام (ص ١٢) عدم حماس بعض المنصرين للعمل بين المسلمين ، فيذكر أن من الأسباب استحالة اجتذاب الإفريقي المسلم من حضارة وقيم الإسلام ، والتي قاومت التأثير الغربي المناهض لها . يقول في تعليله ما نصه :

".. because it was impossible to detach individuals from Islamic culture which resisted the destructive influence from the west "

في الأغلال إذا لم يحفظ ما وجب عليه حفظه من القرآن الكريم ، ولا يُطلقه حتى يفعل ذلك . وأن الواحد منهم كان شديد الحرص على توفير ثوب نظيف لصلاة الجمعة(١٤٦) .

تفسير ترمنجهام لانتشار الإسلام

تعرض ترمنجهام ، في حديثه عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، للطريقة التي انتشر بها الإسلام . فذكر في مواضع مختلفة أن الإسلام انتشر بالطرق السلمية (١٤٧) . ولكن يبدو أن ذلك في نظره لم يكن على الإطلاق ، إذ استثنى حالتين خصهما بالذكر . فقال عن الحالة الأولى : إن أول محاولة لنشر الإسلام في بلاد السودان عن طريق القوة جاءت من خلال بربر الصحراء الغربية الذين انضموا إلى حركة المرابطين(١٤٨) . ثم زعم أن المرابطين ، بعد أن أسقطوا غانه ، قاموا بإجبار جماعات كثيرة جدًا من سوننك غانه على اعتناق الإسلام . وأن هؤلاء السوننك لم يتحولوا إلى الإسلام فحسب بل أصبحوا من الدعاة المتحمسين لتبليغه بين شعوب غرب إفريقيا الأخرى(١٤٩) .

ويبدو أن ما قاله ترمنجهام عن هذه الحالة نابع من موقفه السلبي تجاه المرابطين ، فقد قال عن حركتهم : إن الدين لم يمثل فيها سوى عامل مساعد فقط (١٥٠) . وإن التخطيط لها دُبر بكامله في رباط وجاج بن زلوى(١٥١) اللمطي ، الذي كان يعمل بدافع من العصبية ضد زناته(١٥٢) . ووصف المرابطين بأنهم كانوا يمثلون إسلام القوة والعنف(١٥٣) . وقلل من شأنهم في بلاد السودان ، فذكر أن دورهم بالنسبة للإسلام

---

(١٤٦) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ٧٩٠ .

(١٤٧) *A History of Islam in West Africa* , pp. 31 , 32 - 33 . "*The Phases of Islamic Expansion...*" , p. 127 .

(١٤٨) *A History of Islam in West Africa* , p. 29 .

(١٤٩) *Ibid.*, p. 30 .

(١٥٠) *Ibid* ., p. 24 .

(١٥١) هكذا أورده **البكري** (ص ١٦٥) ، وكتبه **ابن خلدون** (ج٦ ، ص ٢٠٣) وكاك بن زريك اللمطي .

(١٥٢) *A History of Islam in West Africa* , p. 25.

(١٥٣) *Ibid.*, p. 23 .

في المنطقة كان هامشيًا جداً (١٥٤) . كما اتهمهم بارتكاب المذابح عند هجومهم على غانه(١٥٥) . ولا يستبعد أن يكون ترمنجهام في اتهامه للمرابطين بإجبار أهل غانة على الإسلام، وغير ذلك من التهم الجائرة متأثراً ، بالإضافة إلى موقفه السلبي تجاههم ، بفهم سطحي لنص قصير لابن خلدون ، وصف به هجوم المرابطين على غانة (١٥٦) .

أما الحالة الثانية فقد أشار إليها ترمنجهام عندما ذكر أن الاستعمار الأوروبي أنهى مرحلة الإجبار على الإسلام(١٥٧) . وهويقصد حركات الجهاد الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) . وهذه الفترة، وكما سبقت الإشارة إليه ، خارجة عن نطاق هذا البحث . إلاّ أن الأهم في نظر ترمنجهام هو الانتشار السلمي للإسلام الذي استمر عبر القرون . لذا نراه يركز جهده لتقديم تفسير لهذه الظاهرة .

ولنتابع الآن ترمنجهام في سعيه للوصول لبغيته ليتبين لنا مزيد من الخلل في منهجه وهو يكتب عن تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا . وليتضح بالتالي موقف هذا المستشرق من الإسلام والمسلمين .

إن ترمنجهام يرى أن الإسلام لديه الاستعداد والمرونة المتناهية للتعايش مع الوثنية، فهو يقول : "إن الإسلام لا يقتلع جذور الماضي بل يوفر قيمًا جديدة تتعايش مع القديم، ولا تلغيه " (١٥٨) . ويشير أيضًا إلى أنه لما جاء الإسلام إلى غرب إفريقيا لم يكن هناك أي شعور بأنه سيكون في تنافر مع نظرة الإفريقيين الدينية الوثنية (١٥٩) .

وفي موضوع الإسلام والدولة في بلاد السودان يقول ترمنجهام : إنه لما صار الإسلام دين الحكام لم يبرز لهم في ذلك إشكال سوى كون الإسلام دين ممكن أن

---

(١٥٤) *Ibid.*, p. 31 . *Islam in West Africa* , p. 24 .

(١٥٥) *A History of Islam in West Africa* , p. 55.

(١٥٦) انظر : *Ibid.*, pp. 57 - 58 . ، وعن ملابسات نص ابن خلدون بخصوص هجوم المرابطين على غانة ، راجع : **سعود الخثلان ،** الدافع الديني في هجوم المرابطين على غانة على ضوء كتابات المؤرخين المسلمين مع الإشارة على وجه الخصوص لتفسير ابن خلدون للهجوم ، *مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية* ، العدد ١٢ ، ١٤١٥ ، ص ص ٣٥٧ - ٣٦٢ .

(١٥٧) *A History of Islam in West Africa* , p. 225, "*The Phases of Islamic Exapsion* ..." , p. 130 .

(١٥٨) *Islam in West Africa* , pp. 33-34 .

(١٥٩) "*The Phases of Islamic Expansion* " .. , P. 128 , "*The Expansion of Islam* ", p. 23.

يجمع بين كل فئات المجتمع من الرقيق إلى الحاكم . أما الشعوب فلم تشعر بأي تغيير(١٦٠) . ويشير ترمنجهام في أكثر من موضع إلى أن الإسلام لا يُشعر معتنقه بتغير عنيف في حياته أو انقطاع جذري عن الماضي الوثني(١٦١) .

ويذهب ترمنجهام إلى أبعد من ذلك عندما يرى أن الإسلام يلتقي مع وثنية الإفريقيين في العديد من النقاط . بل وأن الإسلام فيه تشابه كبير مع وثنية الإفريقيين جعله يحظى عندهم بالرضى والقبول وقد اتضح ذلك من تعليله لاستيعاب الإفريقيين للإسلام ، حيث قال : إن استيعاب الإفريقيين للإسلام يعود في الأساس إلى نقاط الالتقاء بين الإسلام والوثنية وإلى العناصر الثقافية في الإسلام ، ولا يعود إلى كون الإسلام دينًا رفيع المستوى إلاّ بقدر ضئيل(١٦٢) . ويقول أيضًا : «إن الإسلام فيه الكثير من نقاط الإلتقاء مع الوثنية الإفريقية . صحيح أن الإسلام يضم مجموعة من الأنظمة والتعاليم الاجتماعية التي تمس كل مناحي الحياة ، والتي محتمل تعارضها مع التقاليد الوثنية المحلية ، إلا أنه بالتدقيق في هذه الأنظمة الاجتماعية يتبين أن كثيراً منها يقع في إطار العرف والتقاليد الإفريقية الوثنية»(١٦٣) . ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله إن هناك عناصر وثنية يمكن دمجها في الإسلام ، وعناصر ، وإن أدخلت فيه ، تظل غير شرعية وتستمر كذلك حتى ينهض مصلح ليدفع الناس إلى رفضها(١٦٤) .

ويتضح تعنت ترمنجهام في هذا الشأن عندما يتحدث عن الأرواحية Animism(١٦٥) ، إذ يشير إلى أرواحية إسلامية وإلى أرواحية إفريقية أو قديمة . ويقارن

---

(١٦٠) . *Islam in West Africa* , pp. 13 - 140 .

(١٦١) . *Islam in West Africa* , p. 33 . *A History of Islam in West Africa* , p. 29 .

The Influence of Islam upon Africa , pp. 41 - 42 .

(١٦٢) . *Islam in West Africa* , P. 36 .

ونجد مثل هذا التفسير الخاطئ عند المستشرق الألماني كارل بيكر Carl H. Becker (١٨٧٦ - ١٩٣٣م)، الذي ربط الانتشار السريع للإسلام في إفريقيا بنقطة الالتقاء بينه وبين القدرية البدائية السوداء . انظر : **ساسي سالم الحاج** ، *الظاهرة الاستشراقية* ، ص ٢٢٩ .

(١٦٣) . Islam in West Africa , pp. 30 , 42 .

(١٦٤) . *Ibid* ., P. 41 .

وانظر أيضًا : ص ٣٠ ، حيث يقول إن في الإسلام أخلاقيات معقولة ومقننة ، ثم يدعي أن هذه الأخلاقيات ، مثل ما حدد في الإسلام من محظورات Taboos ، تتلائم مع عقلية الإفريقيين الوثنية .

(١٦٥) لتفضيل عن معتقد Animism ، انظر :

= *Encyclopaedia of Religion and Ethics* , Edinburgh , 1967 , vol. 1 , p. 535 .

بينهما فيصف الأرواحية الإسلامية بأنها عالمية وليست محلية كالأرواحية القديمة(١٦٦) . ويتمادى ترمنجهام في تعنته عندما يزعم أن الإسلام يضفي صفة الدنيوية على الوظائف الدينية ليزيدها جاذبية ، ويمثل لذلك فيدعي أن الإسلام يعتبر السحر جزءًا من البنية الدينية وفي نفس الوقت يضفي عليه الصفة الدنيوية ، فالفقيه ، في نظر ترمنجهام ، مرشد ديني (مفتي ؟) وفي نفس الوقت ساحر(١٦٧) .

وما من شك في أن ما قاله ترمنجهام عن الإسلام لا يعدو أن يكون تلبيسًا لعملية الخلط التي ظهرت في بلاد السودان بين الإسلام الصحيح وبين عادات الناس القديمة وطقوسهم الشركية . وقد تعرضت المصادر لهذه الظاهرة ووصفت ما شاع بين أهل السودان من أفعال وطقوس تتنافى مع الإسلام . ونستعرض الآن أمثلة من ذلك ليتضح المقصود من عملية الخلط هذه .

وصف ابن بطوطه ، وقد كان شاهد عيان ، أهل مالي بأنهم كانوا يحافظون على الصلاة ويهتمون باتباع السنة في يوم الجمعة من التبكير في الذهاب إلى المسجد ، وارتداء الملابس النظيفة . كما أكد على عنايتهم الفائقة بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم(١٦٨) . ولكنه أيضًا تحدث عما أسماه مساوئهم ومخالفاتهم للإسلام ، فذكر

= وجاء في هذه الموسوعة وفي نفس الموضع أنه من وجهة النظر التاريخية للأديان ، فإن هذا المعتقد يمثل دين وفلسفة الشعوب غير المتحضرة . ويقول ترمنجهام إن مصطلح Animism يدل على كل ما يدخل ضمن النظام الديني لشعوب غرب إفريقيا من اعتقادات وطقوس . انظر :
Islam in West Africa , p. 21 .

(١٦٦) *Ibid* ., 30 , 31 , 36 .

(١٦٧) *Ibid* ., p. 31 .

من المؤكد أن ترمنجهام يخلط هنا بين الدعاء المستجاب والكرامات الثابتة في الإسلام وبين ما يمارسه السحرة والمشعوذون وبعض المتصوفة باسم الإسلام . ويبدو أن ترمنجهام كان على علاقة مع بعض فئات من المتصوفة . فقد ذكر أنه كان يحضر احتفالات وتجمعات للموالد والذكر عندما كان في السودان . كما ذكر أنه سافر مرة في رحلة سعيدة مع طائفة من القرويين والدراويش من القدس إلى ما يسمى بضريح موسى في منطقة ، في الصحراء الفلسطينية ، تطل على البحر الميت .

انظر : *The Sufi Orders in Islam* , pp. 245 - 246 .

(١٦٨) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص٧٩٠ .

تعرى الفتيات والنساء[١٦٩] ، وأكل الميتة[١٧٠] ، وجعل التراب والرماد على الرأس ، وكذلك الركوع كمظاهر للتذلل والاحترام والتحية لأمرائهم ، والحلف بالملك[١٧١] ، إلى غير ذلك من الأفعال المنافية للإسلام . وكتب العمري عن منسا موسى ، سلطان مالي ، ووصفه بأنه كان محافظًا على الصلاة والقراءة والذكر ، ومع ذلك كان لديه الكثير من الزوجات ، وكان يجهل الحكم في ذلك . فلما علم به التزم بما أمر به الإسلام[١٧٢] .

وأشار الحسن الوزان ، وهو يتحدث عن مدينة تمبكتو ، إلى عادة الجثو على الركب ، وحثو التراب على الرأس والكتفين لمن أراد مخاطبة السلطان[١٧٣] . وأشار أيضًا إلى شيوع الجهل الشديد في أهل كاغو Kaghu [١٧٤] .

ويذكر أحد الرحالة الأوروبيين ، وهو يتحدث عن ولوف ، أن المرابط ، كما سماه هو ، أو الفقيه ، كما هو عند أهل السودان ، كان يكتب التعاويذ والتمائم باللغة العربية لتعلق على رقبة الشخص أو الفرس [١٧٥] .

ونجد أمثلة أخرى في ما أورده محمود كعث والسعدي ، وهما يؤرخان لدولة سنغي[١٧٦] ، . بل إن سلطان سنغي ، أسكيا محمد ، كان ممن تنبهوا لهذه الظاهرة . ويشهد بذلك أسئلته التي وجهها إلى الشيخ المغيلي (ت ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣م)[١٧٧] ، ففي أحد هذه الأسئلة ذكر أقوامًا وصفهم بأنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ، محمد

---

(١٦٩) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ص ٧٨٨ ، ٧٩٠ .

(١٧٠) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ٧٩١ .

(١٧١) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ص ٧٨٤، ٧٨٥ ، ٧٨٨ ، ٧٩٠ .

(١٧٢) *مسالك الأبصار* ، ج٤ ، ص ٤٢ .

(١٧٣) *وصف إفريقيا* ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(١٧٤) *وصف إفريقيا* ، ج٢ ، ص ١٧٠ .

(١٧٥) Clarke, *op.cit.*, p. 33 .

(١٧٦) انظر ، على سبيل المثال : تاريخ الفتاش ، ص ص ٤٣ - ٤٤ ؛ تاريخ السودان ، ص ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(١٧٧) عن المغيلي ، انظر : الشيخ **محمد بن عبدالكريم المغيلي** ، أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمين الحاج محمد أسكيا ، تحقيق جون هنويك ، لندن ونيويورك ، دار جامعة أكسفورد للنشر ، ١٩٨٤ ، المقدمة ص ص ٢٩ - ٤٨ ؛ **خير الدين الزركلي** ، *الأعلام* ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م ، ج٦ ، ص ٢١٦ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهم معتقدون مع ذلك أن هناك من يضرهم وينفعهم غير الله عز وجل. ولهم أصنام ، ويعظمون بعض الأشجار ، ويذبحون لها . ولهم بيوت معظمة عندهم . وكان أسكيا محمد يريد معرفة الحكم في تكفيرهم بهذه الأفعال(١٧٨) .

ومن ذلك أيضًا ما ورد في إنفاق الميسور عن عملية الخلط قبل مرحلة حركات الجهاد الإسلامية . حيث تحدث المؤلف عنها بوضوح فبين الأفعال التي ناقض بها المخلطون الإسلام ، وذكر فئاتهم . يقول : «وقد انتشر الإسلام فيها انتشارًا بين سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم بل لا يوجد في هذه البلاد عامة إلا معتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابته . ولم تزل العامة هكذا حتى قام هذا الجهاد .

لكن حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها . ويذبحون بها ، ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم ، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها . ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية ! ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم ، ولا يحضرها غيرهم ، ويسمون ذلك عادة البلد ، ويزعمون أن ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، فإذا لم تُفْعل تلك العادة بطلت معايشهم ، وقلت أرزاقهم ، وضعفت شوكتهم . وتوارثوا هذه العوائد كابرا عن كابر .

ولم يبلغنا عن أحد من سلاطينهم وعلمائهم - بالغا ما بلغوا - أنهم أبطلوا تلك العوائد ، إلا ما كان من الموفقين ممن لا يشاركهم في أمورهم من العرب والفلاة ، فإنهم لم يزالوا ينكرون عليهم فعلها ويكفرونهم . ولاشك في كفرهم ، وإن كان علماؤهم يدعون أنهم لا يريدون بذلك الإشراك ، ولا يعتقدون التأثير . فهم كفار ، لأن هذه الأصنام من الأشجار والمياه والأماكن التي يذبحون لها كانت أصنام أجدادهم الذين لم يسلموا قبل ، فهم في ذلك مقلدون لهم ، وإن تظاهروا بالإسلام والخير بعد ذلك ، لأن الإسلام في هذه البلاد إنما ورد به التجار والمسافرون ، فأخذه من أخذه منهم .

---

(١٧٨) أجوبة *المغيلي* ، النص العربي ، ص ٢٢ .

فمن الناس من خلص دينه كما ينبغي ، ومن الناس من خلطه بما يناقضه . وكان غالب ملوك هذه البلاد من هذا القبيل ، لأنهم أخذوا بالإسلام وهم يقرون بالتوحيد ، ويصلون ويصومون ، ولكنهم لم يفارقوا أحوال أجدادهم الأولين ، ولم يتركوا من عوائدهم شيئًا ، فكل من خالطهم علم بالضرورة أنهم متلبسون بما لا يصدر إلا من كافر »[١٧٩] .

وكذلك يوجد من الكتاب المحدثين من تنبه إلى ما حدث في بلاد السودان من خلط بين الإسلام وبين الأنظمة والطقوس الدينية المحلية . فهؤلاء ذكروا عملية الخلط هذه وأشاروا إلى الانتشار الواسع للإسلام في المنطقة وتحدثوا عن ذلك بموضوعية أفضل مما هو الحال عند ترمنجهام[١٨٠] . بل إن بعضهم اعتبرها إحدى المراحل التي مر بها أهل السودان في تحولهم إلى الإسلام [١٨١] .

---

(١٧٩) **محمد بلو بن عثمان بن فودي** ، *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور* ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٣٨٣ هـ ، ص ص ٣٤ - ٣٥ . ومن الملاحظ أن مؤلف إنفاق الميسور ركز في هذا النص على مسألة الاتصاف بالكفر ، سواء بالانسلاخ التام من الإسلام أو بما أسماه بالخلط أو التخليط . وفي صفحات أخرى من الكتاب أورد تفصيلات لتقرير مدى شرعية جهاد هذه الفئة أو تلك . والبحث الذي بين أيدينا ليس محل دراسة هذا الجانب من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، لأن الهدف من التعرض لهذه المسألة ينحصر فقط في إثبات أن ترمنجهام استغل هذه الظاهرة ونسب الى الإسلام ماليس منه ، ولم يفرق بين ما هو من الإسلام وما هو دخيل عليه .

(١٨٠) انظر على سبيل المثال : **طرخان** ، *دولة مالي الإسلامية* ، ص ٥٢ ؛ **H. Fisher** , *The Cambridge History of Islam* , vol. 2, p. 345 ; **M. Hiskett,** *op.cit* ., pp. 31-32 ; **N. Levtzion** , *Patterns of Islamization in West Africa* " , pp. 214 - 215 .
- ويلاحظ أن الكاتبين الآخرين أشارا (في نفس المواضع) إلى أن العلماء ، خاصة في تمبكتو ، زمن دولة سنغي ، كانوا يعلنون معارضتهم للخلط بين الإسلام والوثنية ويعملون على إظهار الإسلام الصحيح .

(١٨١) انظر : **H. Fisher,** *The Cambridge History of Islam,* vol. 2, pp. 345-346 . "Conversion Reconsidered : Some Historical Aspect of Religious Conversion in Black Africa" , *Africa* , vol. 43 , 1973 . p. 31.
حيث قسم هذا الكاتب انتشار الإسلام وتحول الناس إليه في بلاد السودان إلى ثلاث مراحل وجعل المرحلة الثانية هي مرحلة الخلط Mixing . وانظر أيضا : **P.J. Ryan,** *op. cit.*, pp. 7-8 . الذي تابع فشر في ذلك ، وقال إن كلمة Mixing هي ترجمة للكلمة العربية «تخليط» الواردة في المصادر الإسلامية .

وإن هذا الوضع الذي عانى منه المنتسبون إلى الإسلام من أهل السودان في تلك المراحل لم يكن من المستغرب حدوثه . وما من شك في أن هناك شعوبًا وجماعات أخرى مرت بمراحل مشابهة في تحولها إلى الإسلام ، وإن اختلفت في ذلك لاختلاف الخلفيات الدينية لتلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها . وإن أقرب مثال لذلك ما حصل في الصحراء الكبرى بين البربر . فبالرغم من بدء انتشار الإسلام بينهم خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)(١٨٢) ، إلا أن هناك من الكتاب من أشاروا إلى بقاء عادات وتقاليد جاهلية بينهم لفترة طويلة(١٨٣) .

فما دامت القضية بهذا الوضوح في المصادر التي رجع إليها ترمنجهام ، فلماذا لم يتجه في كتابته إلى التحدث عنها ليتضح الأمر للقارئ ؟ ولماذا خَلَطَ الأمور على هذا النحو ؟ إن ما قاله ترمنجهام في مقارنته بين الإسلام والوثنية جعل الإسلام يظهر بمظهر لا يختلف كثيراً عنها . فقد سعى هذا المستشرق جاهداً ، من خلال إشارات هنا وهناك صريحة أحيانًا وخفية أحيانًا أخرى ، لأن يُدخل في روع القارئ إلى أن هناك نقاط التقاء وتماثل قوية بين الإسلام والوثنية ، وأن الإسلام مرن من أجل استقطاب الأتباع إلى حد قبول ما يناقضه . وهذه الخاصية ، في نظر ترمنجهام ، هي التي مكنت الإفريقيين من تطويع الإسلام ليتناسب مع بيئتهم وتراثهم ، فلم يحدث انقطاع تام عن ماضيهم ودين أسلافهم . وهذا في رأي ترمنجهام هو السبب المباشر الذي دفع الشعوب الوثنية في غرب إفريقيا عبر القرون إلى تقبل الإسلام بكل يُسر وسهولة .

ومن المؤكد أن ترمنجهام مدرك لما يقول وأن هذا المفهوم الخاطئ عنده لم ينشأ عن سوء فهم أو مجرد وهم في هذه المسألة ، والأدلة التالية تبين ذلك بوضوح .

أولاً : إن عامل اللغة لم يكن مجالاً لإحداث سوء فهم عنده سواء في قراءة المصادر أو فيما يخص فهمه للإسلام ، سواء عند الإفريقيين أو بشكل عام . فقد سبقت الإشارة إلى أن ترمنجهام أقام في بلدان عربية في إفريقيا لفترات طويلة ، وقام برحلات إلى بلدان عربية أخرى في القارة ، وزاول التدريس في أقسام تُعني بالدراسات العربية والإسلامية . وهذا يؤكد أنه كان ملمًا باللغة العربية ، وعلى قدر كبير من ذلك . ولا

---

(١٨٢) انظر : **ابن خلدون ،** *العبر* ، ج٦ ، ص ١٨٢ .

(١٨٣) انظر : **ابن حوقل ،** *كتاب صورة الأرض* ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م ، ص٩٣ ، **البكري ، المُغْرب** ، ص ص ١٣٨ - ١٤٠ ، *رحلة ابن بطوطه* ، ج٢ ، ص ٧٧٧ .

أدل على ذلك من النصوص العربية المترجمة إلى الإنجليزية التي يزخر بها كتابة «تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا» . بل إن أحد الكتاب فضل ترجمته لأحد النصوص العربية على ترجمة مستشرق آخر [(١٨٤)] .

ثانيًا : إن ترمنجهام ، وهو يحاول تفسير أسباب انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، لم يتجه للاستفادة مما أوردته المصادر من معلومات عن ظاهرة الخلط لكي يتبين للقارئ أن الأمر لم يكن سوى اضافات إلى الإسلام من طقوس وعادات وثنية ليست منه . وليعلم القارئ أيضًا أن هناك أناس مدركون لهذا الشيء حتى من أهل السودان أنفسهم . هذا بالرغم من اطلاع ترمنجهام على ذلك في المصادر ، فقد أورد عرضًا ، نصًا لجبريل ابن عمر ، أحد أساتذة الشيخ عثمان دان فودي ، فيه توضيح لظاهرة الخلط[(١٨٥)] . وعليه يكون هذا التوجه من ترمنجهام متعمدًا ، وذلك لربط أسباب انتشار الإسلام في غرب إفريقيا بتشابه والتقاء مزعوم بينه وبين الوثنية .

ثالثًا : إن ترمنجهام ، في تقسيمه للمراحل التي مر بها الإسلام خلال انتشاره في إفريقيا ، يجعل لكل مرحلة نمطًا من الإسلام ، ويصنف أحد هذه الأنماط بأنه : الإسلام الإفريقي التقليدي . ويقول إن سمته كانت الإزدواجية الدينية[(١٨٦)] Dualism ، أو بمعنى آخر التعايش مع الوثنية . فهو إذن يرى أنها لم تكن عملية خلط بل ازدواجية دينية في الإسلام نفسه .

رابعًا : إن ترمنجهام ، في الحقيقة ، لا يتحدث عما أسماه بإسلام الإفريقيين بل عن الدين الإسلامي . والأمر عنده واضح لا لبس فيه ، فهو يقول ما نصه : «إننا في تناولنا للمجتمع الإسلامي يجب ألا نجعل مفاهيم الإسلام وتعاليمه الصحيحة هي الأساس ، وألاّ نعتقد أن ما ظهر عليها من تغيير إنما هو تحريف لها من جراء ما دخل

---

(١٨٤) انظر : **P. J. Ryan** , *op. cit.*, P. 53 , Footnote. no. 72 ,
الذي ذكر أنه فضل ترجمة ترمنجهام لنص من تاريخ كانو على ترجمة المستشرق بالمر Palmer لنفس النص في كتابه *Sudanese Memoirs* .

(١٨٥) . *A History of Islam in West Africa* , p. 142
ويلاحظ أن ترمنجهام تحاشى إيراد كلمة مخلطين ، كما تلفظ في اللغة العربية بالرغم من ورودها في النص ، إنفاق الميسور ، ص ٢٠٧ ، وهو المصدر الذي نقل عنه ترمنجهام . وبالرغم أيضًا من اهتمامه الشديد في مؤلفاته بإثبات التعبيرات والمصطلحات بلغتها الأصلية زيادة في الإيضاح .

(١٨٦) . *"The Phases of Islamic Expansion "...* , p. 130

عليها من التقاليد المحلية ، أو أن ننظر إلى مدى بعد الناس من الإسلام الصحيح . بل يجب أن نأخذ التقاليد القديمة لننظر كيف حورت وبُدلت من قبل الإسلام»(١٨٧) .

ويقول أيضًا في جرأة واضحة على الإسلام : إن الأرواحية والممارسات السحرية في الإسلام استمدت قيمتها ومدلولاتها من عناصر في دين العرب الوثنيين(١٨٨) .

إذن يتضح من هذا العرض أن القضية عند ترمنجهام ليست مجرد دراسة لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، بل التعرض للدين الإسلامي للوصول إلى أهداف معينة ، ولكن تحت ستار منهجه المزعوم الذي ادعى فيه أنه معني بالحديث عما أسماه بإسلام الإفريقيين . بينما راح كما رأينا ، وباسم هذا المنهج ، يقول عن الإسلام بغير علم فينسب إليه ما ليس منه ولا يفرق بينه وبين ما أحدثه المتنسبون إليه من إضافات بحكم العادات الموروثة ، وبحكم ما جُبل عليه الإنسان من جهل وضعف وخطأ .

وترمنجهام ، ككاتب غربي ومستشرق ، ليس من المستغرب أن تظهر في كتاباته سلبيات ووجهات نظر تتعارض مع وجهة النظر الإسلامية ، ولكن تأثره بالتنصير ، كغيره من الكتاب ممن هم في نفس الوضع جعله يسلك في منهجه طريقًا ملتويًا ، وجعل كتابته أكثر استعدادًا للتحامل على الإسلام والمسلمين .

إن من أهم الأهداف التي تبين أنها كانت في حسبان ترمنجهام ، وهو يكتب عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، إظهار الإسلام بغير مظهره الحقيقي . إذ لابد وأنه يعلم أن هذا العرض للإسلام لن يمكن القارئ الغربي أو الإفريقي من تكوين صورة صادقة عن الإسلام بل على العكس سيراه من خلال صورة مشوشة مضطربة . فآراء ترمنجهام واستنتاجاته حول الإسلام ، والمشار إليها في فقرات سابقة ، خاصة ما ذكره عن أسباب الانتشار تُظهر الإسلام للقارئ مفرغًا من محتواه الصحيح وتجرده من المقومات الطبيعية التي هيأت له القبول الطوعي من الناس . فالإسلام في نظر

---

(١٨٧) *Islam in West Africa*, p. 125.

(١٨٨) *Ibid.*, p. 40.

ويلاحظ أن ما زعمه ترمنجهام بخصوص وثنية العرب ليس بالشيء الجديد ، فقد سبقه إليه مستشرقون آخرون ، نذكر منهم ، على سبيل المثال :

Brockelmann, *op.cit.*, pp. 38-41 ; **H.A. Gibb ,** *Islam* , London , Oxford University Press , 1975 , p. 47 ; **A. Guillaume ,** *Islam* , New York , Penguin Books Ltd., 1978 , p. 6.

ترمنجهام مرتبط في وجوده وانتشاره بالسلطة ، وهو وإن انتشر وظهر له أثر على أهل السودان ، إلا أنه لم يبتعد كثيراً عن الوثنية ، ولم يصل إلى المستوى الراقي الذي يجب أن يكون عليه الدين . وهي صورة تهدف ، بلا شك ، إلى زعزعة الثقة بجدوى الانتماء إلى الإسلام .

وإن ما يدلل على هذا التوجه عند ترمنجهام ، ويؤكد في نفس الوقت تأثره بالتنصير ، تلك المقارنات بين المسيحية والإسلام والتي أظهرت ، بالرغم من كونها قصيرة وعابرة ، عاطفته الدينية وبعده عن الموضوعية والإنصاف . ففي الوقت الذي يكرر فيه القول بالتشابه بين الإسلام والوثنية وكثرة نقاط الالتقاء بينهما ، يقول إن أوجه التعارض بين المسيحية والنظام الوثني الإفريقي كثيرة للغاية[(١٨٩)] . ويقول في موضع آخر إن الإسلام يتعايش مع الوثنية ، وتعارضه مع المجتمع الوثني غير محسوس ، فهو يتسلل إلى الناس بالتدريج ، أما المسيحية فهي في تعارض صارخ مع المجتمع الوثني[(١٩٠)] .

وذهب ترمنجهام أبعد من ذلك عندما امتدح مسيحية الحبشة وقال إنها لم تكن أبداً مرنة مع الوثنية ، ولم يحصل قط أي محاولة لاستيعاب أي عناصر وثنية في نظامها التعبدي الأرثوذكسي[(١٩١)] .

ويزعم ترمنجهام أيضًا أن إقبال الحاميين والزنوج الحاميين الرعاة على اعتناق الإسلام إنما مرده إلى مرونته من حيث مكان العبادة وإلى انخفاض مستوى نظمه وقيمه الاجتماعية بينما يزعم أن نفور هؤلاء من المسيحية إنما هو بسبب علو مستوى نظمها وقيمها الاجتماعية وإلى ارتباطها بنظام كهنوتي[(١٩٢)] .

---

(١٨٩) *Islam in West Africa*, p. 30 .

(١٩٠) *Ibid.*, p. 42 .

إنه لمن الواضح أن ما قاله ترمنجهام وكرره عن وجود تشابه بين الإسلام والوثنية وتعايش معها ، لا يعدو أن يكون مزاعم لتحقيق هدفه التنصيري من الكتابة ، وإلاَّ فإن كاتبا في مثل اطلاع ترمنجهام يعلم علم اليقين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة تحوي مالا حصر له مَن الشواهد التي توجب التوحيد الخالص وتُحذر مما يناقض ذلك من قول أو فعل . ولا أوضح من رفض الإسلام الرفض القاطع للتشبه بغير المسلمين .

(١٩١) *Islam in Ethiopia*, London, Frank Cass, 1976, p. 27.

(١٩٢) = *Ibid.*, Intro., p. xiv.

ويتحدث ترمنجهام في بضعة أسطر عن مدى انتشار المسيحية في إفريقيا مقارنة بالإسلام فيكشف من خلال ذلك عن توجهه التنصيري إذ يقول : « . . . وبالمقابل هناك دين آخر قوي ، هو المسيحية الغربية التي جاءت مع التوسع الغربي (في إفريقيا) خلال القرن السابق ، وانتشرت في كل مكان جنوب خط الاستواء . وإن سرعة وصلابة توسعها ليؤكد أن المسيحية ، حتى ولو لم تتخلص من بعض المعالم التي هي في الواقع غربية وليست من جوهر المسيحية ، بإمكانها أن تحقق تطلعات الإفريقيين الروحية ، وتصبح قوة موحدة للجنوب والوسط من إفريقيا لتقف بذلك في وجه الاسلام الذي يمثل القوة التي وحدت الشمالي الإفريقي وبلاد السودان»(١٩٣) .

وإن مما يُدعم ما قلناه عن أثر التنصير على كتابات ترمنجهام وتوجهاته ، كون الجمعيات التنصيرية قد أدركت قيمة مجهوداته في إفريقيا وأهمية كتاباته عن الإسلام والمسلمين فيها . إذ ليس من باب الصدفة أن تكون الجمعيات التنصيرية هي الداعم الرئيس لأبحاثه الميدانية في إفريقيا . وليس من باب الصدفة أيضًا أن تقوم جمعيات التنصير بتكليفه وتمويله ، بعد فترة وجيزة من رجوعه إلى بريطانيا ، لكي يعود إلى غرب إفريقيا ويُجرى مسحًا للإسلام فيها ، كما سبقت الإشارة إليه (١٩٤) .

= إن هذا النظام الكهنوتي الذي ارتبطت به المسيحية ليؤكد عدم صحة ادعاء ترمنجهام خلو المسيحية (المحرفة) من الطقوس الوثنية . وهذا البحث ، بطبيعة الحال ، ليس مجالاً للتفصيل في هذه الناحية . ويمكن الاكتفاء بالإحالة إلى الكتاب التالي ، لأحد المختصين في تاريخ الأديان في جامعة باريس :

شارل جينيبير ، *المسيحية نشأتها وتطورها* ، ترجمة عبدالحليم محمود ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م . وعلى سبيل المثال ، يقول المؤلف (ص ١٣٩ - ١٤٠) ، وهو يتحدث عن محاولة بولس إيجاد تبرير لتقليد «تناول الخبز جماعة» : « ولم يكن قد قُدّر لأي طقس من طقوس «الأسرار» الوثنية أن يزخر بمعاني وفيرة وبآمال جذابة ، مثل ما زخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس ، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ، ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي ؛ ولقد أدخلت في كنيسة الحواريين «قطعة من الوثنية» . ولكن المسيحيين تقبلوها أيضًا بصدر رحب لأنها أضافت إلى إيمانهم درجة أخرى من التسامي ، وإن أصبحت بعد ذلك موضوعًا أساسًا لتركيبات لاهوتية واسعة النطاق تولدت عنها عقائد كبرى عديدة» .

(١٩٣) *Islam in Ethiopia*, Intro., p. xv .

(١٩٤) راجع ما كتب عن هذا المستشرق في بداية البحث .

ويجيء تحامل ترمنجهام على المسلمين كوجه آخر لإظهار الإسلام بغير مظهره الحقيقي . فمعلوم أن ما يُتهم به المسلمون ينعكس ، في نظر من لا يعرف الإسلام ، على الإسلام نفسه . ويظهر هذا التحامل عند ترمنجهام من خلال تفسيرات واستنتاجات خاطئة بُني بعضها على قراءات واهية للمصادر . وقد سبق التلميح إلى خطورة هذا المسلك عند المستشرقين في دراساتهم الإسلامية .

والأمثلة التالية تؤكد هذا الاتجاه عند ترمنجهام :

١ - يقول ترمنجهام : «إن منطقة شمال إفريقيا كانت تقع ضمن العالم الإسلامي ، بينما بقية إفريقيا ظلت خارج اهتمام المسلمين . وهم لا يفكرون فيها أصلاً ، وحتى إن فعلوا ذلك فإنهم لا يرون فيها سوى ذلك الإقليم الغامض ، القابع خلف الصحراء ، والذي يُجلب منه العبيد والذهب» [١٩٥] . وهو يرى أن الحاجز الحسي والثقافي الذي فرضته الصحراء بين شمالها وجنوبها كان له دور في إحداث ذلك الانقطاع بين المسلمين في شمال إفريقيا والشرق الإسلامي من جهة وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى [١٩٦] .

وفي إشارة إلى دور الإفريقيين في نشر الإسلام يقول ترمنجهام : إن إسهام المسلمين البيض في نشر الإسلام في غرب إفريقيا لم يكن بالقدر الذي ينسبه البعض إليهم . ويتهمهم بأنهم كانوا يزدرون المسلمين السود المتحمسين لنشر الإسلام [١٩٧] .

ولكن ترمنجهام يذهب في مواضع أخرى إلى ما يناقض هذه الأقوال . وهذا ما يثير الدهشة حقًا . فبينما هو يقول بانقطاع الصلة بين المسلمين في غرب إفريقيا وغيرهم من المسلمين ، ويقلل من دور المسلمين غير السود في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، نراه ينفي أن تكون الصحراء قد مثلت عائقًا في وجه الحركة والتأثير القادم من الشمال إلى غرب إفريقيا [١٩٨] . ويؤكد على أنه كان هناك علاقات وتواصل دائمان بين مصر وبلاد المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى [١٩٩] . ويشير مرارًا إلى حج

---

(١٩٥) *The Influence of Islam Upon Africa*, Intro., p.2.

(١٩٦) *Ibid* .

(١٩٧) *Islam in West Africa*, p. 31.

(١٩٨) *The Influence of Islam upon Africa*, p. 10.

(١٩٩) *The Expansion of Islam* , p. 15.

المسلمين من غرب إفريقيا إلى الأراضي المقدسة ، خاصة السلاطين وحاشيتهم[٢٠٠] . وإلى اتصالات العلماء من شمال إفريقيا ومصر بالممالك الإسلامية في بلاد السودان ، وعلى رأسهم المغيلي والسيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[٢٠١] . هذا بالإضافة إلى ما قاله عن التجار الوافدين إلى بلاد السودان من أنهم كانوا يحملون الإسلام مع بضائعهم[٢٠٢] ، وأنهم كانوا يمارسون شعائر دينهم والدعوة إليه في المنطقة بكل حرية ، وأنهم بذلك كانوا السبب في تغلغل الإسلام في مدن بلاد السودان على الحدود الجنوبية للصحراء[٢٠٣] .

٢ – حاول ترمنجهام استغلال اختلاف اللون لإبراز دواعي التنافر بين المسلمين . فقد اتهم المسلمين البيض ، كما رأينا ، بالكبرياء وإزدراء المسلمين السود . ونراه كذلك يتحدث ، أحيانًا ، عن إسلام السود أو الإسلام الإفريقي [٢٠٤]. ويتحدث أحيانًا أخرى عن إسلام العرب وإسلام مصر والمغرب[٢٠٥] .

وعند ذكره للجغرافي والرحالة ابن حوقل اتهمه ، بطريق غير مباشر ، بأنه ينظر إلى السود نظرة دونية[٢٠٦] ، مستنتجًا ذلك من نص في كتابه «صورة الأرض» ، يقول فيه : «ولم أذكر بلدان السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في أعراضهم من الأمم ، لأن انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة . وهؤلاء مهملون في هذه الخصال ، ولا حظ لهم في شيء من ذلك فيستحقوا به إفراد ممالكهم بما ذكرت به سائر الممالك . غير أن بعض السودان المقاربين هذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة ورياضة وحكم ، ويقاربون أهل هذه الممالك كالنوبة والحبشة فإنهم نصارى يرتسمون مذاهب الروم»[٢٠٧] . فقد فسر ترمنجهام عدم ذكر ابن حوقل لهؤلاء بأنه

---

(٢٠٠) *A History of Islam in West Africa*, pp. 57, 62, 64, 67 - 68 , 81 , *Islam in West Africa*, pp. 85-88.

(٢٠١) *A History of Islam in West Africa*, pp. 98, 133.

(٢٠٢) *Islam in West Africa*, p. 28.

(٢٠٣) *A History of Islam in West Africa*, pp. 28,31.

(٢٠٤) *Islam in West Africa* pp. 30,31,33, *The Influence of Islam upon Africa*, preface. P.x.. .

(٢٠٥) "*The Expansion of Islam* ", p. 15 , "*The Phases of Islamic Expansion* ", p. 133.

(٢٠٦) *A History of Islam in West Africa*, pp. 1-2.

(٢٠٧) ص ١٩ .

انتقاص لهم من أجل سوادهم . بينما النص صريح في أن العلة في عدم ذكرهم هي افتقارهم إلى الديانات والآداب والسياسة . والدليل على ذلك أن ابن حوقل استثنى منهم النوبة والحبشة فأوردهم في كتابه المذكور وعلل ذلك بكونهم «نصارى يرتسمون مذاهب الروم» . ويلاحظ هنا أن ترمنجهام استشهد من النص بالجزء الذي ظن أنه يؤيد ما ذهب إليه ، ولم يورد النص كاملاً .

والذي يهمنا في هذا المقام ليس إثبات تحامل ترمنجهام على ابن حوقل أو تأكيد سلامة موقف هذا الأخير من السود . بل يهمنا الإشارة إلى ما يمكن أن تلعبه مثل هذه الآراء والتفسيرات غير العلمية من دور في تشكيل وإشاعة المفاهيم الخاطئة عن المسلمين . فعلى سبيل المثال ، ذهب كاتب آخر في هذه القضية أبعد مما ذهب إليه ترمنجهام إذ قال بصريح العبارة : «إن ابن حوقل كان أول من عبَّر عن إزدراء المسلمين التقليدي للسود» (٢٠٨) . وبما أن هذا الكاتب اعتمد على ترمنجهام في مواضع أخرى من نفس الكتاب الذي وردت فيه الإشارة إلى النص المذكور (٢٠٩) ، فلا يستبعد أبداً أن يكون قد تأثر بما جاء فيه عن ابن حوقل .

٣ - اتجه ترمنجهام كذلك إلى استغلال الرق للإساءة إلى المسلمين ، فقد ربط حركة الحج من غرب إفريقيا إلى الأراضي المقدسة بتجارة الرقيق (٢١٠) . هذا مع أن ترمنجهام يذكر ، كما يذكر غيره بطبيعة الحال ، أن ظهور الرقيق كعنصر من عناصر التجارة بين شمال إفريقيا ومصر من جهة وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى لم يكن قبل بدء الحج من غرب إفريقيا فحسب ، بل قبل مجيء المسلمين إلى المنطقة بقرون عديدة (٢١١) . فالربط بين الأمرين إذن ليس له مبرر إلا أن يكون للغاية التي أشرنا إليها . فهو قد خص الرق بالذكر لحساسيته ، بينما لم يذكر تجارة الذهب ، مع أن المصادر اهتمت بذكر كميات الذهب التي كانت مع قوافل حج السلاطين من غرب

---

(٢٠٨) **E. W. Bovill,** *The Golden Trade of the Moors,* Oxford , Oxford University Press , 1978, pp. 61 - 62.

(٢٠٩) انظر ، على سبيل المثال : *Ibid., pp. 73, 83, 96.*

(٢١٠) *A History of Islam in West Africa,* p. 32.

(٢١١) *Ibid.,* p. 13.

إفريقيا أكثر من اهتمامها بالرقيق[٢١٢] .

٤ - أساء ترمنجهام تفسير بعض المفاهيم الإسلامية . فقد فسر الدعاء عند المسلمين في غرب إفريقيا ، وما يحصل بعده من استجابة ، بأنه من أعمال السحر[٢١٣] .

وقد سبقت الإشارة إلى أن ترمنجهام يزعم أن الإسلام يعتبر السحر جزءًا من النظام الديني .

وأساء ترمنجهام مفهوم الختان ، وذلك عندما قال إن هذه العادة كانت تُمارس عند الوثنيين ، ولما أراد المسلمون إعطاءها بعدًا دينيًا وصبغة إسلامية استغلوا ربطها بالأسطورة الإبراهيمية ، فتحول فعلها عند الإفريقيين من مجرد تقليد للسلف إلى تطبيق لتعاليم الإسلام[٢١٤] . وهذه في نظر ترمنجهام ، إحدى الطرق التي كيَّف الإسلام بها نفسه فانتشر بين الإفريقيين[٢١٥] .

الخاتمة

رأينا كيف أن ترمنجهام كانت لديه اهتمامات مبكرة بالأديان بما فيها الإسلام ، حيث قرأ عنها كثيراً ، ودرس اللاهوت في كلية متخصصة . ثم توج ذلك بأن انخرط في سلك التنصير الذي أتاح له الفرصة للعمل في إفريقيا . فكان لذلك دوره في جذب ترمنجهام إلى الاستشراق ، والتخصص في الدراسات الإسلامية ، وجعل هذه القارة ميدانًا له لدراسة الإسلام والمسلمين .

وعلمنا أيضًا أن ترمنجهام جمع بين الاستشراق والتنصير ، فكان لذلك أثره وخطورته على منهجه وهو يكتب في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، وأثره أيضًا

---

(٢١٢) انظر ، على سبيل المثال : **العمري** ، *مسالك الأبصار* ، ج٤ ، ص ص ٤٤ - ٤٦ ، **ابن خلدون** ، *العبر* ، ج٥ ، ص ٤٣٤ ، ج٦ ، ص ٢٠١ ، **السعدي** ، *تاريخ السودان* ، ص ٧٣ .

(٢١٣) *A History of Islam in West Africa*, p. 131.

(٢١٤) *Islam in West Africa*, p. 41.

ويبدو أن ترمنجهام يقصد بما أسماه بالأسطورة الإبراهيمية ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث تشير إلى اختتان النبي إبراهيم الخليل عليه السلام . انظر : **محمد بن إسماعيل البخاري** ، *صحيح البخاري* ، إستانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م ، كتاب ٦٠ ، باب ٨ : (ج ٤ ، ص ١١١) ، كتاب ٧٩ ، باب ٥١ : (ج ٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٤) .

(٢١٥) *Islam in West Africa*, p. 41 .

على موقفه من الإسلام والمسلمين بشكل عام .

وتبين لنا كذلك أن ترمنجهام كتب عن تاريخ الإسلام في إفريقيا من وجهة نظر المستشرق المنصر . فالإسلام في نظره كان محدود الانتشار في بلاد السودان ، فقد كان دين التجار الغرباء والحكام وحاشيتهم ، وهو يعتمد على السلطة ، وإذا انتشر فإن السبب في نظر ترمنجهام ، يعود لعيب في الإسلام وليس لتميز فيه . فهو يرى أن الناس في إفريقيا يقبلون على الإسلام لتشابهه مع الوثنية ولتعايشه معها . فمبادئ الإسلام وقيمه في نظره ليست بالمستوى الرفيع بل هي متدنية ملائمة لعقليات الوثنيين البدائية .

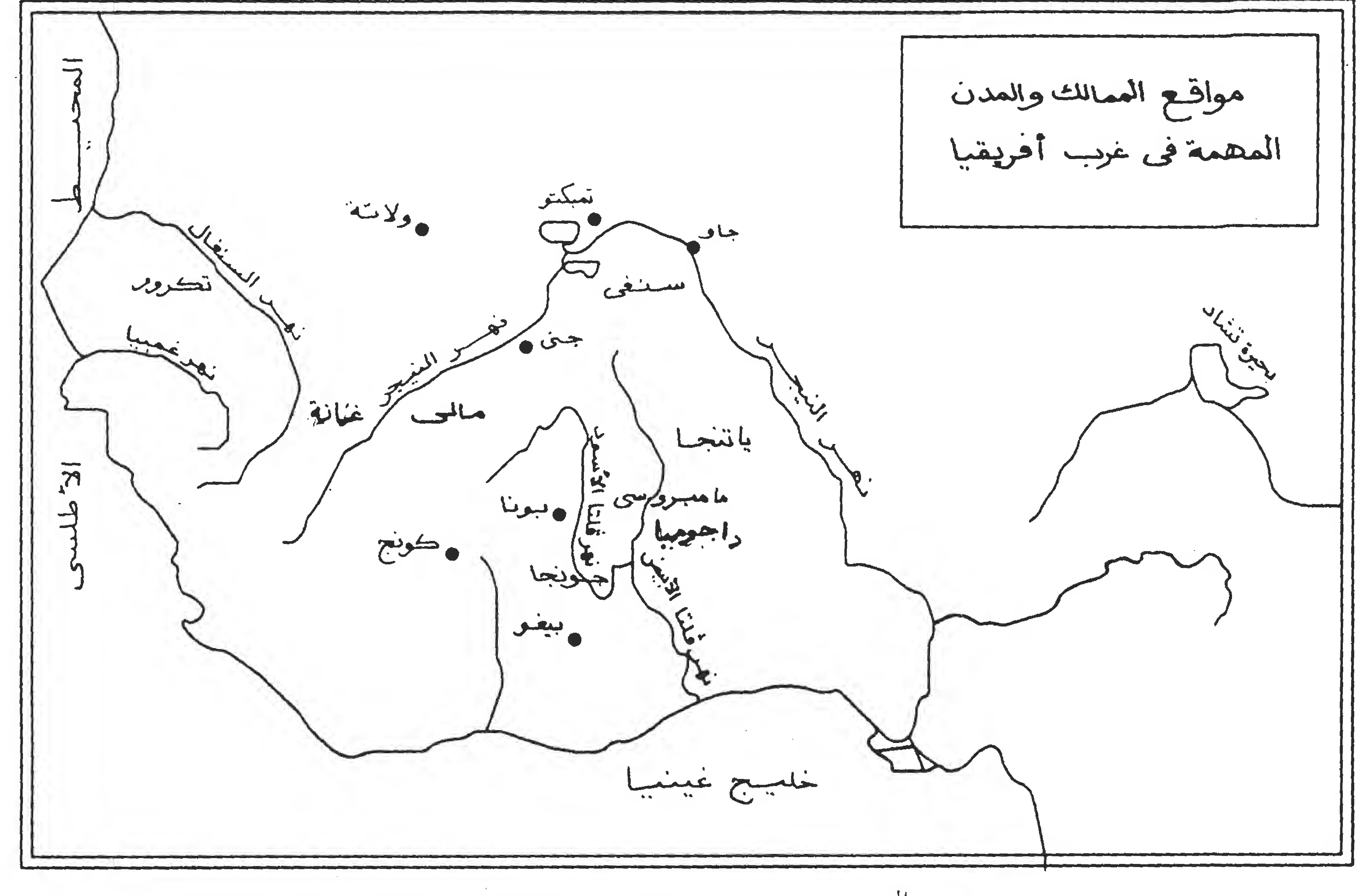
ولاحظنا أن ترمنجهام في اصطدامه بالحقائق الدامغة في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، والتي لم ترق له ، لم يتمكن من الموازنة بينها وبين منهجه في الكتابة وهدفه المبيت منها ، فبرز التضارب وعدم الانسجام في استنتاجات ومرئياته .

ورأينا أيضًا أن ترمنجهام لما قارن بين المسيحية والإسلام ، ضمن منهج غير علمي ، جاءت مقارنته جائرة ومتحيزة لأنها تلونت بنظرة المستشرق المنصر الذي سعى في كتابته إلى التقليل من شأن الإسلام وإثارة الشبهات حول قيمه ومفاهيمه .

ومن هذا المنطلق أيضًا كان موقف ترمنجهام من المسلمين ، فقد حاول بطريق مباشر وغير مباشر أن يظهر أسباب الخلاف والتنافر بين المسلمين ، محاولاً استغلال بُعد غرب إفريقيا عن الأقاليم الأخرى المهمة من العالم الإسلامي ، وكذلك اختلاف اللون ، وقضية الرق . كما عمد إلى إساءة تفسير بعض المفاهيم الإسلامية .

وهكذا يتضح من البحث أن دراسة ترمنجهام لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا افتقرت إلى الموضوعية والحياد . وعلى هذا الأساس لابد وأن تكون قد أخذت دورها في تشويه تاريخ الإسلام في المنطقة ، أخذًا في الاعتبار ما وجدته دراسات ترمنجهام من رواج في الأوساط الأكاديمية ، خاصة في الخمسينيات والستينيات والسبعينات من القرن الميلادي الحالي ، وهي فترة لها أهميتها بالنسبة للتنصير في القارة .

ولكن بالرغم من هذه السلبيات يظل ترمنجهام من الرواد في هذا الميدان ممن مهدت دراساتهم السبيل لمن جاء بعدهم من الباحثين والمختصين في الدراسات الإسلامية في إفريقيا .



المصدر : G. S. Freeman- Grenville, The New Atlas of African History, The Macmillan Press LTD., 1991, P. 77; Wilks, " The Mossi and Akan States" , p. 450.

المـراجــع

أولاً : المراجع العربية

ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله اللواتي ، *رحلة ابن بطوطة المسماة* : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢م .

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي ، *كتاب صورة الأرض* ، بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م .

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر* . . ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩١ هـ .

ابن خياط ، خليفة ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٥هـ .

ابن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله ، *فتوح مصر والمغرب* ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة، لجنة البيان العربي ١٩٦١م .

ابن منظور ، محمد بن مكرم ، *لسان العرب* ، بيروت ، دار صادر ، د. ت .

الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبدالله ، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ليدن ، بريل ، ١٩٦٨م .

البخاري ، محمد بن اسماعيل ، *صحيح البخاري* ، إستانبول، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م.

البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، *المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، باريس ، المكتبة الشرقية الأمريكية ، ١٩٦٥م.

البلاذري ، أحمد بن يحيى ، *فتوح البلدان* ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م .

جينيبير ، شارل ، *المسيحية : نشأتها وتطورها* ، ترجمة عبدالحليم محمود ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م.

الحاج ، سباسي سالم ، *الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية* ، مالطه ، مركز

دراسات العالم الإسلامي ، ١٩٩١م .

الحموي ، ياقوت ، معجم *البلدان* ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٩م .

الخاتم ، علي ، *«الإسلام في السودان الغربي - آثاره السياسية والثقافية»* ، دراسات إفريقية ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥هـ ، ابريل ١٩٨٥م .

ديفدسن ، بازل ، *إفريقيا تحت أضواء جديدة* ، ترجمة جمال محمد أحمد ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٦١م .

السعدي ، عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران ، *تاريخ السودان* ، تحقيق هوداس ، باريس ، ارنيه ليرو ، ١٨٩٨م .

طرخان ، إبراهيم علي ، *إمبراطورية غانة الإسلامية* ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* ، إصدار فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٨م .

كعت ، محمود كعت بن الحاج المتوكل ، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس* ، تحقيق هوداس وديلافوس ، باريس ، أرنيه ليرو ، ١٩١٣م .

المالكي ، عبدالله بن أبي عبدالله ، *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان* ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م .

محمد بلو بن عثمان بن فودي ، *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور* ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٣٨٣هـ .

موسى ، عزالدين عمر ، *«انتشار الإسلام في غرب افريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي»* ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية (الخرطوم ٢٨/ ٣٠ يوليو ١٩٨٣م) ، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ـــــــــ *«الإسلام وإفريقيا»* ، *العرب وإفريقيا* : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، ط١ ، بيروت ، يناير ١٩٨٤م .

نقره ، التهامي ، *«القرآن والمستشرقون»* ، في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، الرياض ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الوزان ، الحسن بن محمد (ليو الإفريقي) ، *وصف إفريقيا* ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣م.

ثانيا : المراجع الأجنبية

African Encyclopaedia. Oxford, Oxford University Press, 1974.

Ajayi, J.F. Ade and **Crowder, M.** (eds), *History of West Africa*. London, Longman. 1976. Vol. I.

Bovill, E.W., *The Golden Trade of the Moors*. Oxford, Oxford University Press, 1978.

Brett, M., "Islam and Trade in the Bilad Al-Sudan, 10th-11th Century A.D.", *Journal of African History*. **24,** 1983.

Brockelmann, C., *History of the Islamic Peoples*. Trans. by J. Carmichael and M. Perlmann, London. Routledge and Kegan Paul, 1980.

Cada Mosto, Alvis Da, *The Voyages of Cada Mosto*. Trans. by G.R. Crone, Hakluyt Society Series, 2, No. 80, 1937.

Clarke, P.B., *West Africa and Islam*. London, Edward Arnold, 1982.

COntemporary Authors, New Revision Series, ed. by A. Evory and Others, Michigan, Gale Research Company, 1981.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. by **J. Hastings, Edinburgh, T**. and **T. Clark,** 1967, Vol. I.

Fage, J.D, *A History of West Africa*. Cambridge. Cambridge University Press, 1969.

——— *An Atlas of African History*. Edward Arnold Ltd., 1st ed., 1958.

——— "Some Thoughts on State Formation in the Western Sudan before the Seventeenth Century", *Boston University Papers In African History*. Vol. I, 1964.

Fisher, H.J., "Conversion Reconsidered: Some Historical Aspects of Religious Conversion in Black Africa", Africa: *Journal of The International African Institute*. Vol. **43,** 1973.

Hiskett, M., *The Development of Islam in West Africa*. London and New York, Longman, 1984.

Hodgkin, T., "The Islamic Literary Tradition in Ghana", In: **I.M. Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*. Oxford, Oxford University Press, 1966.

Hogben, S.J. and **Kirk-Greene, A.H.,** *The Emirates of Northern Nigeria*. London, Oxford University Press, 1966.

Hunwick, J.O., *Islam and Africa: Friend or Foe*. Accra, Ghana University Press, 1975.

——— "Religion and State in The Songhay Empire, 1464-1591", In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

Julien, C., *History of North Africa: Tunisia, Algeria, Morocco*. Trans. by J. Petrie, London, Routledge and Kegan Paul,1970.

Kritzeck, J. and **Lewis, W.H.** (eds.), *Islam in Africa*. New York and London, Van Nostrand-Reinhold Company, 1969.

Levtzion, N. "The Early States of the Western Sudan to 1500" In: **Ajayi** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. I.

——— *Muslims and Chiefs in West Africa: A Study of Islam in the Middle Volta Basin in the Pre-colonial Period*. Oxford, Clarendon Press, 1968.

——— "Patterns of Islamization in West Africa". In: **Levtzion** (ed.), *Conversion to Islam*. New York and London, Holmes and Meier Publishers Inc., 1979.

——— "The Thirteenth and Fourteenth Century Kings of Mali", *Journal of African History*. iv, 3, 1963.

Lewis, I.M. (ed.), *Islam in Tropical Africa*. Oxford, Oxford University Press, 1966.

Mabogunje, A., "The Land and Peoples of West Africa", In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. I.

McCall, D. (ed.), *Boston University Papers on Africa*, Vol. **5**, 1971 (Introduction).

Musa, I.U., "On the Nature of Islamization and Islamic Reform in Bilad AsSudan up to Sokoto Jihad"
. مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، المجلد السادس ، مايو ١٩٧٩م ، العدد ١

Al-Naqar, Umar, *The Pilgrimage Tradition in West Africa*, Khartoum, Khartoum University Press n.d.

Ryan, P.J., *Imale: Yoruba Participation in the Muslim Tradition*, Missoula, Scholars Press, 1978.

Skinner, E.P., "Islam in Mossi Society" In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

The Cambridge History of Islam, Vol. 2, ed. by P.M. Holt and Others, Cambridge, Cambridge University Press, 1970.

The Encyclopaedia of Islam, Vol. iv, Leyden, 1934.

The New Ency. Britanica, 15th ed., Chicago, London etc., 1986.

The New International Dictionary of The Christian Church, General ed., **J.D. Douglas**, Exeter, The Paternoster Press, 1974.

Trimingham, J.S., *Islam in West Africa*, Oxford, Clarendon Press, 1972.

——— *Islam in the Sudan*, London, Frank Cass and Co. Ltd., 1965.

——— *The Christian Church and Islam in West Africa*, I.M.C. Research Pamphlets, No. 3, Edinburgh, SCM Press Ltd., 1955.

——— *The Sufi Orders in Islam*, Oxford, Clarendon Press, 1971.

——— *The Influence of Islam upon Africa*, London, Longman, 1980.

——— *A History of Islam in West Africa*, 1st ed., London, Oxford University Press, 1962.

——— *Islam in East Africa*, Oxford, Clarendon Press, 1964.

——— *Two Worlds are Ours: A study of time and eternity in relation to the Christian Gospel Freed from the tyranny of the old Testament reference*, Beirut, Librairie Du Liban, 1971.

——— *Islam in Ethiopia*, London, Frank Cass, 1976.

——— "The Expansion of Islam", In: **Kritzeck** and **Lewis** (eds.) *Islam in Africa*.

——— "The Phases of Islamic Expansion and Islamic Culture. Zones in Africa", In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

Who's Who in Europe, 4th ed., Bruxelles, 1980-1981.

Willis, J.R., "The Western Sudan from the Moroccan Invasion (1591) to the Death of Al-Mukhtar Al-Kunti (1811)" In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

Wilks, I., "The Growth of Islamic Learning in Ghana", *Journal of The Historical Society of Nigeria*, ii, 4, 1963.

——— "The Mossi and Akan States 1500-1800", In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

Trimingham and his Study of the Spread of Islam in West Africa and his Attitude towards Islam and Muslims

SAUD HAMAD AL-KHATHLAN
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. In this study Trimingham's opinion about the extent of the spread of Islam in West Africa and his interpretation of this phenomenon were discussed. This discussion is, in fact, necessary in order to detect the defects in his argument and to evaluate his attitude towards Islam and Muslims.

But our discussion will not be full unless an attempt is made to see how far his writings about the history of Islam and Muslims in West Africa have been influenced by his connection with missionary societies and his active role in serving and promoting Christian mission in Africa.